

حَيَاةٌ مِمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي



حياة ما بعد الموت



دار المعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ - ٠٠٩٦١ ١ - فاكس: ٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١ ١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ - ٠٠٩٦١ ٣

حياة ما بعد الموت

تأليف
الفيلسوف الرباني آية الله السيد

محمد حسين الطباطبائي

ترجمة
سالم مشكور

فهرس الموضوعات

٧	مقدمة المترجم
٩	مقدمة المؤلف

الفصل الأول:

١١	الموت والأجل
١٥	الروح تنتقل مع الموت
١٦	من الذي يتوفى الأنفس؟
١٨	الموت يكشف الحقيقة للإنسان
١٩	التبشير بالمعادة أو الشفاء بعد الموت

الفصل الثاني:

٢٥	البرزخ
٢٨	تجسم الأعمال
٣١	المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

٣٢	تجسم الأرواح في البرزخ
٣٣	لقاء الأموات بذويهم
٣٤	حديث الشيطان مع أتباعه في القبر

الفصل الثالث:

٣٧	النفخ في الصور
٤١	الذين يستنون من حكم النفخ في الصور
٤٥	الأخرة بعد الدنيا
٤٥	الآيات الدالة على أحوال القيامة

الفصل الرابع:

٤٧	صفات يوم القيامة
٥٠	بطلان الأسباب في يوم القيامة
٥٠	يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا
٥٢	«القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ
٥٣	ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم
٥٤	تدد الظلمة يوم القيامة

الفصل الخامس:

٥٧	بعث الإنسان للمساءلة
٥٩	سير الأرواح إلى خالقها

الفصل السادس:

٦١ المصراط

الفصل السابع:

٦٥ الميزان

الفصل الثامن:

٦٩ صحيفة الأعمال

الفصل التاسع:

٧٩ الشهداء في يوم البعث

٨٢ مراتب الشهداء

مقدمة المترجم

يشغل الحديث عن الموت، والدعوة إلى استذكاره، حيزاً كبيراً في أحاديث النبي (ص)، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وعلماء الأخلاق، باعتبار الموت، يمثل حداً فاصلاً بين عالمين: الدنيا التي يحيا فيها الإنسان، والآخرة التي يحاسب فيها على ما عمله في حياته، ليؤول بعدها إلى المصير الخالد، أما في جنات النعيم أو في سمر جهنم.

وعندما يتذكر الإنسان الموت، فإنه يستحضر المراحل التي سبداً بعده، بدءاً بالقبور ومروراً بالبرزخ، وانتهاء بيوم الحساب وما يترتب عليه من تحديد لمصير النهائي للإنسان. وفي كل مرحلة من هذه المراحل، يتحدد وضع الإنسان فيه، شقاء أو سعادة، عذاباً أو تكريماً، على أساس ما قدم في حياته.

من هنا فإن في ذكر الموت، تحذير للإنسان، من عواقب السيئ من أعماله، فيتجنبه، والصالح منها، فيزيد منه ما استطاع. لا أن يتحول ذكر الموت إلى عامل سلبي، يفرس الحزن والهلوع واليأس في النفوس، فتشل حركة الإنسان ويتراجع نشاطه وتبرد همته.

الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - يضم بين دفتيه بحثاً (أو رسالة كما سمها المؤلف) يخوض في تفاصيل أحوال مرحلة ما بعد الموت، من القبر وحتى يوم الساعة، وحال الإنسان في كل منها، وقد اعتمد المؤلف المفسر الكبير الفيلسوف الرباني السيد الطباطبائي (رض) على الآيات القرآنية في وصفه لتلك «الحياة»، وما يجري فيها، متبعاً أسلوبه الشهير القائم على تفسير القرآن بالقرآن والبرهان على آية، بآية أخرى. وبدورنا حاولنا - خلال الترجمة - تبسيط ما أمكن من العبارات معقدة الأسلوب، مع المحافظة على المعنى، لتكون في متناول إدراك عامة القراء. سائلين المولى أن يجعلنا جميعاً من أهل السعادة، بعد الموت، إنه سميع مجيب.

مسالم شكور
شوال ١٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقربين
محمد وآله الطاهرين.

هذا الكتاب يتضمن رسالة كتبناها في موضوع المعاد، نخوض فيها
- بمعون من الله سبحانه وتعالى، بحال الإنسان في مرحلة ما بعد الحياة
الدنيا، استناداً إلى ما يوصلنا إليه البرهان، وما يقدمه لنا القرآن والسنة في
هذا المجال. وقد أثرنا الاختصار والاقتصار على المفاهيم العامة. ذلك
أن المنهج الذي نتبعه، والقائم على تفسير الآية بآية أخرى، والرواية
برواية أخرى، منهج عميق ليس من السهل بلوغ مداركه. وطبيعي أن
الاكتفاء في هذا الموضوع، بذكر نموذج واحد من بين النظائر المتعددة،
لن يساعدنا على بلوغ الفائدة الكاملة. وسقف القارئ على صحة قولنا
خلال قراءته لهذا البحث.

ولا بد من القول هنا أن مفسري الأخبار والروايات لم يعتمدوا
الأسلوب السالف الذكر، لاستنباط معاني الآيات والروايات ومكنوناتها.
وبالنتيجة، لم يتركوا لنا حتى القليل من الآثار في هذا المجال.
من هنا، فإن من يريد اعتماد هذا الأسلوب سيواجه صعوبة بالغة،
وسيكون كالذي يدخل ساحة القتال دون سلاح، والله المستعان.

محمد حسين القطاطي

الفصل الأول :

الموت والأجل

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾^(١). وهذه الآية توحي أن لكل موجود، من السماء وحتى الأرض وما يوجد بينهما، أجل وضعه الرب، عز وجل بأنه «مسمى» أي محدد ومقدر بحيث لا يبعده أي موجود، كما يتضح من الآية الكريمة ﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾^(٢) وكذلك الآية ﴿ ما تنبى من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾^(٣) وكثير من الآيات الأخرى المنظومة على نفس المعنى.

بـ «أجل» الشيء، هو التمرن الذي يسبق عده، ولهذا يستخدم هذا المصطلح في موضوع الدين، الذي يحدد به «أجل مسمى» وهي آية ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ﴾^(٤) ورد به «يوم» للدلالة على «الأجل».

(١) الروم ٨

(٢) الأعراف ٣٤

(٣) الحجر ٥

(٤) سبأ ٣٠

وفي الآية الكريمة ﴿الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده﴾^(١) نخبرنا الباري عز وجل أن «الأجل المسمى» هو عده ثم نقرأ في آية كريمة أخرى ﴿ما عندكم يتعد وما عند الله باق﴾^(٢) أي أن لدى عده، خالد وثابت لا يتأثر بعوامل الدهر وظروف الزمان.

يقول الله تعالى ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتيناها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾^(٣) فهو يخبرنا أنه حدد أجلاً لريشة الأرض، وأن هذا الأجل، إنما هو بأمرة، وكذا الحال بالنسبة للحياة الدنيوية، أي أن الأجل الدنيوي إنما هو محدد بامر الله.

إذن، فإن الأجل سوعان، أو على الأقل نوع واحد له وجهان. الأجل الرماني الدنيوي، والأمر الإلهي، وهما ما تشير إليهما الآية ﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده﴾^(٤). من هنا يمكن إدراك حقيقة أن «الأجل المسمى» هو من عند الله وهو أمر إلهي، و«عند الله» يعني أنه ثابت ومصون من كل تأثير. وهذا ما يتضح في الآية الشريفة ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾^(٥)، ولهذا فإن الباري عز وجل عبّر عن «الأجل» في العديد من الآيات بعبارة «العودة إلى الله» و«لقاء الله».

الموت . . انتقال من عالم إلى آخر

نعودة. هي المرحوح من النشأة الأولى (الدنيا)، ودحول النشأة الأخرى (لآخرته)، إنه الموت الذي يصعده الباري عز وجل، وليس الذي يميّثه.

(١) الأنعام . ٢

(٢) النحل . ٩٦

(٣) يونس . ٢٤

(٤) البقرة . ٢

(٥) النور . ٥

عن بحركة وإحساس، وروى الحاشي الظاهرية يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾^(١)، إذ وصف الموت بـ «الحق» في إشارة إلى الأجل الثابت الذي هو حق بهي وكذلك يقول ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ . ﴿إلى أن يقول﴾ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق^(٢)، وهي إشارة صريحة إلى أن الموت هو يوم لعودة إلى الله سبحانه وتعالى.

وسئل الشيخ الصدوق وأخرون رواه عن أبي (ص) يؤكد فيها أن الإنسان حق لسقاء وليس للنساء، وإنما الموت، انتقال من علم إلى آخر

كما يروى عن الإمام الصادق (ع) وصفه للإنسان بأنه خلق شائين سدي ولاخرة. فجعل الله سبحانه وتعالى، حياة الإنسان على الأرض، بعدد أول هذه الحياة من سماء إلى الأرض، وعندما يوحد انساني عروجل الفرق بين هذين شائين، يحدث الموت، وعند ذلك يعود شأن لاخرة إلى سماء، وبالحياة هي على الأرض، والموت في السماء، ذلك أن الموت يعني الفصل بين الروح والجسد فعود الروح إلى القدس لأول، ويبقى الجسد على الأرض لكونه من شأن الدنيا

ينقل عن إمام الحسن العسكري قوله عن الإمام علي بهادي عبيهما سلام به دخل على أحد أصحابه وكان مريضاً يسكي خوف من الموت فقال له الإمام أنت مخوف لموت لأنك لا تعرفه أحسنى - لو كان بدت ملثاً به جرح واحترق - وعين به علاجه يكمن في استحمامك في حمام معين سريحت من كل ما يؤلمك، أكل نكرة دجول هذا انحناء، ويعصم لبقاء عبي معاتك؟ فقال مرحل كلا، بل أفصل نحتم يا من رسول الله، فرد عليه الإمام بد،

(١) ق ١٩

(٢) لفيفة، ٣٠

إعلم أن الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر فرصة لتظهر نفسك من دنوبها ودانت مما علق بها من سيئات، فإن وردت على الموت، ستحو من كل هم وعم، وستلج القرح والهمجة. هب أحسن المريض بالكود والاطمشاد واستنم للموت، وأغمض عينيه وودع الدنيا.

وفي رواية أخرى، ينقل الإمام الجواد عليه السلام عن ائته، يظهرين عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن الأمر لما اشتد على الإمام الحسين بن علي (ع) في كربلاء. نظر إليه أصحابه، فوجدوه في وضع يختلف تماماً عما هم فيه من قلق واضطراب. فكلما كان الأمر يشتد عليهم، كانوا يصابون بسدعر، ويرنجف أرحهم، أما الحسين عليه السلام، وبعض المقرين ولقرينيه، فكانوا على العكس من ذلك. تعلو وجوههم علامات السكون والاطمشاد، وكان الأصحاب يقولون إنه لا يحاف أسداً، فيحبهم الإمام حسين (ع) أيهم العظام، عليكم بالصر، فما الموت إلا حشر يفتكم من عظام الشدة، والمصاعب إلى الحجة الواسعة والعم الدائمة. إنه يفتكم من السحر إلى قصر كبير، واعلموا أن الموت لأعدائكم ليس إلا حشراً ينقلهم من القصر إلى السجن والعذاب.

ويورد الإمام الحسين لأصحابه ما يقوله له أسوة الإمام علي (ع) عن رسول الله من أن ادب سجن المؤمن وحة الكافر، ولموت، حشر يوصل مؤمن إلى الجنة والكافرين إلى جهنم.

ويشير الإمام الباقر (ع) أن الإمام السجاد (ع) سئل عن الموت فقال أنه للمؤمن كحلج ملابس قذرة وفك قيود وسلاسل ثميته، والاستنداضه عنها بملابس نظيفة معطرة ومركب مريحة ومساكن واسعة وأنه بالسنة ناكفر، كحجج ملابس المحررة وترك المسكن المظيف الوسع، إلى ممكن بعيد قدر حيث العذاب واللباس القذر.

وعندما يسأل الإمام الباقر نفسه عن الموت، يجيب أنه يوم الذي يأتي الإنسان كل ليلة، إلا أنه أطول منه مدة، بحيث لا يعيق منه الإنسان إلا يوم القيامة ويشته الإمام، الموت، بما يراه الإنسان في مده من أحلام حميله أو كوابيس مرعبة، ثم يدعو الناس إلى التهؤله.

إن بشييه لإمام لندقر (٤) لموت، بالسوم، مستوحى من الآية الكريمة ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قصى عليها الموت ويرسل الأخرى﴾. إد ملاحظ أن الله عز وجل وصف الحالين - «الوفاة»، ثم سحدم «الإمساك» لتعبير عن الأولى، أي التي تعود فيها الروح إلى ربها، وملاحظ أنه لم يقل «بعض» بدلاً عن «مسك».

أما قول لائمة لأصحاب أن «روح» تغارق لجسد عبد الموت، فهو مستوحى من الآية كريمة ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، ذلك أن البري عز وجل سب «التوفي» إلى «الأنف» باعتبار ذلك، استيعاء كاملاً لحق محطوب، وكذلك في الآية ﴿هو الذي يتوفاكم﴾^(١) سب «توفي» لـ «كم»، وهي الصير لمعر عن الأنف والتي بذكرها لإنسان بكلمات «أنا» و«نحن».

إد فندي ينتقل من إنسان إلى شئة لأخرى - هو الروح - والآية كريمة ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقه﴾^(٢) تشير إلى هد الأمر بوصوح، ولكدح هو سعي باتجاه شيء، والإنسان هو الساعي إلى الله، وهو فندي يسير إليه عند بدء خلقه، ولهذا فإن آيات عدة تتحدث عن وقفة إنسان في عدد بكلمات «لست» أو «مكت» كم في الآية ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾^(٣).

(١) الزمر: ٤٢

(٢) الأنعام: ٦٠

(٣) الشعاق: ٦

(٤) المؤمنون: ١١٢

من الذي يتوفى الأنفس؟

يقول سري عرواح ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وهي إشارة صريحة إلى أن الموت مسوب إليه وفي رواية أخرى ﴿قل يتوفىكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ في الدنيا وتوفى مسوب إلى ملك الموت وفي رواية ثالثة ﴿حتى إذا جاء أحداكم الموت توفته رسلنا وهم لا يقرطون﴾ في الحديث «لنومي» سب إلى «ملائكة المرسلين» صبي إلى المرحع ومصدر كل هؤلاء واحد، ذلك أن جميع ذلك يتم برده لله وهم، لكن السعيد يتم على مستويات متعددة، طبقاً لمستوى انفعاله التي تحري عنها عمليه «توفية» وهناك العديد من شروط والأحوال التي تؤيد ذلك، فقد نقل عن الإمام صادق أن ملك الموت سئل كيف يستطيع قتل روح أرس من متورعين على مشرق لأرض ومغربها، فأجاب أنه يستدعى هذه لأرواح، وهي تستجيب له ثم قال أن لديها بين يديه، كما لا بد لآثار يترك من أي حدث مه يشاء، وأن الله بين يديه (أي ملك الموت) كما أمرهم به لآثار يديره كيف يشاء

وفي روايه أخرى أن جماعة من المؤمنين سألوا الإمام صادق (ع) عن الآيات التالية:

- ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾^(١)
- ﴿قل يتوفىكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾^(٢)
- ﴿الذين توفىهم الملائكة طيبين﴾^(٣)
- ﴿توفته رسلنا﴾^(٤)
- ﴿لو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾^(٥)

(٥) المحل ٣٢.

(٦) المحل ٢٨.

(٧) الأعمام ٦١.

(٨) الأعمال: ٥٠.

(١) السجدة: ١١.

(٢) الأعمام ٦١.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) السجدة: ١١.

سأوه كيف يمكن أن تكون هذه الآية صحيحة، بينما نحن نعرف أنه قد يموت عدد كبير من الناس، من أنحاء العالم، وفي كل واحد، فأجاب، بأن الله يترك وتعالى، جعل تلك الموت مساعد من الملائكة، تتولون قصص لأرواح مثلها يتحد قائد لحرس، أفراد مساعدين له فالملائكة المبعثرون بموتهم سوفي لأشخاص المحققين، ثم يقوم تلك الموت بسلامتهم إلى حيث الذين يوفاهم بمسألة، ثم يوفاهم الله عز وجل جميعاً

وقد ورد في رواية أخرى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «تصحب نفس هذا المعنى، وورد في نهجته تأكيد من الإمام أنه لا يمكن لكل صاحب علم أن يعطي علمه وسرجه لكل الناس، لأنهم محققين في سعيهم بعض العلوم وإدراكهم بها، لأن بعض هذه علوم - وحديث الإمام علي - لا يتولى علي تحصيلها إلا من وحي عون بهيأ خاص لا بد. كنه وفهمها ثم يقدم الإمام علي (ع) بصيغته فيقول أنه يكفي للإمام أن يعرف أن الله هو المحيي والمميت، وأنه يوفى لأفئدة، على يد من يريد، سواء كانوا ملائكة وغير الملائكة

وبنوهه لأولى عنهم نسمع من عبارة «غير الملائكة» الواردة في كلام الإمام (ع) أن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يتوفى بعض لأفئدة حيث على يد غير ملائكة، وهذا يحمل علامات استعفاء - معرب -

فقد يكون المقصود - «غير ملائكة» هي بعض الأولياء المقربين الذين يسمعون أمره على من الملائكة وقد يكون المقصود بذلك، «وشت الذين يتوفاهم الله مباشرة دون وساطة الملائكة، هذا مع أن حقيقة هذين الاحتمالين

هـ حدة

قد ورد في «الكافي» رواية عن الإمام الساجد (ع) يقول فيها أن الإمام علي بن الحسين (ع) كان يقول دائماً أن كلام نبي عز وجل هو أولم يروا أننا سألني لأرض تنقصها من أطرافها (١) يقصد به موت العلماء وقال بعض علماء أن «أطراف» التي هي جمع «طرف»، يقصد بها العلماء والأشراف

وعموماً، فكما أن لـ «الأنفس»، مراتب ودرجات حقيقية ملحوظ قريباً من
الباري عز وجل، فإن الوفاة تتناسب ودرجة كل نفس، فبعضها يتوفاها الله تعالى
نفسه، ولذا فإن هذه النفس لا تدرك غير الله، وهناك أنفس يسوفاها ملك
الموت، وهذه لا تدرك الملائكة الذين هم دون ملك الموت، أما القسم الثالث
فيوفه الملائكة المساعدون لملك الموت

وبعض السطر عمن يتوفى الأنفس، فإن المهم أن الذي «يتوفى» هو
«النفس» وليس البدن، فالله أقرب للنفس، من النفس ذاتها، والملائكة يأتمرون
بأمره، ويمهدون ما يريد. وكذلك النفس، فهي من عالم الأمر، وليس في عالم
الأمر، حجاب زماني أو مكاني. إذن عالتوفي يتم من داخل النفس وليس من
خارجها ومن لدن، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿إذ فرغوا فلا فوت وأخذوا
من مكان قريب﴾^(١) وكذلك ﴿فنبأهم إذا بلغ الحلقوم وأنتم حيثئذ تنظرون
ومن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾^(٢)

الموت يكشف الحقيقة للإنسان

قضا أن النفس، لا تقى دلوقي، وما أنها عاشت الدنيا واستقرت فيها
لفترة، ومُرّت بحالة العرور الديوي وتعودت عليه، فإن «الوفاة» ستكشف
بنفس، بطلان كل ما كان في الدنيا، من تصورات وأوهام، وبالكشف الأسباب
لظاهرة الأمور، ستحول كل لتطلعات والطموحات الديوية إلى صواب، والله
سبحانه وتعالى يقول.

﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسظوا
أبديهم أحرظوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على
الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتموها فرادى كما

(١) ص ٨١

(٢) ألواقص ٨٣، ٨٤، ٨٥

خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركوا لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴿١﴾

إن الإنسان يتعامل مع نوعين من الأمور والموجودات في الدنيا، الأول: مباح للحياة وأدونها التي يتصور أنه يملكها، وأنها توصله إلى طموحاته وأهدافه، والثاني: الناس الذين يتصورهم شفعاء له، فيتصور أنه لا يستطيع بلوغ حاجاته ومرمه، بدون مساعدة هؤلاء، كالروحة والأبناء والأقرباء والأصدقاء وكس الذين لهم قوة تأثير في محسرى الأمور لكن السري عز وجل يشير في الآية ﴿ ولقد حثمونا فرادى . ﴾ بشكل إجمالي إلى سطلان سوعين، فهي ﴿ وتركتم ما حولناكم ﴾ يشير إلى روال النوع الأول وهي ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم ﴾ يشير إلى روال النوع الثاني أما ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ فهي إشارة إلى سب سطلان السوعين وروالهما، و ﴿ ضل عنكم ﴾ إشارته إلى نتيجة هد السطلان

المهم، فإن ما في الدنيا يبقى في الدنيا، أما الإنسان فيبدأ مد وفاته، حياة جديدة، محرقة عما كان في الدنيا - ومن هنا وصف الموت بأنه «القيامة» بصعريه التي قال فيها أمير المؤمنين (ع) أن كل من يموت، تقوم قيامته

التشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت

عندما تعاد النفس، جسم الإنسان، يفقد صفة الاختيار والقدرة على فعل شيء أو تركه، وهذا يُرفع التكليف عن الإنسان - النفس - بالله تعالى يقول. ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ (٢).

(١) الأنعام: ٩٣، ٩٤

(٢) الأنعام: ١٥٨

وفي هذه المرحله، يقف الإنسان أمام مفترق طريقين، طريق السعادة وطريق الشقاء، وعندها يحدد الطريق الذي سيسلكه، فيما أن يسم بشارة السعادة، أو وعد شقاء. يقول الله تعالى ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾ و ﴿الذين تتوفيهن الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾^(١) وكذلك ﴿إيا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تحافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾^(٢).

ب- عبارة «كنتم توعدون» تعني أن الشارة تحقق بعد سديب، أي في الآخرة وطبيعي أن تشير شيء يعني الإحراز عن أمر قل أن يحدث، وهذا ما يصدق على التشير بالجنة الذي يحدث قل دسرها

من جانب آخر، فإن التشير، يعني الإحراز عن أمر حتمي الوقوع وبما أن الإنسان يصل حر لاختيار حتى لحظة وفاته ويصل أمام حتم سبوكه أحد الطريقين سالمي سذكر، تبعاً لعمله وسلوكه، فإن شارة ساحة لا يمكن أن تتحقق في سديب، ومن ملاحظة الآية الكريمة ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾^(٣) يرى أن لاري عر وحل، يثبت ولايته على هؤلاء، ثم يحزرا بأنهم لا خوف عليهم ولا يحزنون وأنولاية هذه تعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تدبير أمور المؤمنين دون تدخل منهم، وفي هذه الحالة فقط، يكون شارة في الدب هؤلاء، أمراً صحيحاً ومصعباً مادام الله تعالى هو المنوي وسدبر لأمور المؤمنين ومن هنا يرى أن الدري تعالى يعبر سياق الآية عدم نصف تقوى هؤلاء المؤمنين فيقول حل وعلا ﴿وكانوا يتقون﴾، فيما استاف طبيعي هو ﴿آمنوا واتقوا﴾، وهذا التعبير في السياق، إشارة واضحة

(١) الحل - ٣٢

(٢) فصلت: ٣٠

(٣) يونس: ٦٢، ٦٣، ٦٤

إلى أن إيمان هؤلاء المؤمنين بعد إيمانهم الأول، إنما جاء بعمل التقوى، وهو تعبير عن نقاء الإيمان من كل شوائب الشرك المعنوي، السجدة عن الاعتماد على غير الله

وبنفس هذا المعنى محده في الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا
يرسلوه يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفسر
لكم﴾ وهذا ما مر به نلاحظه على المؤمنين ووصفه بالنعمة ثم
يقول سبحانه ويعلّي ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
فاحشواهم فرادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾^(١)، فالمتؤمنون
يرجعون أمرهم إلى الله بشكل كامل دون أن يتدخلوا فيه بعد ذلك تقرب الآية
لكريمه ﴿فاتقوا الله من الله وفصل لهم أنفسهم سوء﴾^(٢)، إذ حدث
هذه نعمة تلي محبة الله للمؤمنين، دون إصابتهم بأي سوء، وصانتهم من كل
حصر، وهذا ما لا يدرك إلا في ظل السيادة الإلهية للمؤمنين. الذين يتدر كل
أمرهم.

ويتكرر نفس المعنى في آية لكريمه ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الطالمين. ويصل الله ما
يشاء. ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾^(٣) إذ سلاحظ لإشارة إلى
سولاية لإلهية ولتثبيت لإلهي للمؤمنين بكلمة النعمة

وفي آية أخرى بحر ساري سمال المطيعين لأوامره، حيث يحشرهم مع
سبين نعم عليهم ﴿ومن يطع الله والرسول، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾^(٤)

(١) الحديد: ٢٨

(٢) آل عمران: ١٧٣

(٣) آل عمران: ١٧٤

(٤) إبراهيم: ٢٧، ٢٨

(٥) البقرة: ٦٩

فانشخص المطيع لا سمحت بإرادة فعل شيء، خارج إرادة المطيع، وفي النتيجة، يقوم المطيع بالتحكم في إرادته وأفعال المصع، وسوب عنه في كل ذلك، وعلى هذا يكون مطيعاً ونياً للمطيع كما أن هذا المطيع الحاصص للإرادة الكاملة للمطيع، يكون وساً لمن أطعته وسلم أمره إليه، لأنه سيكون في النتيجة قد أطاع بمصح لأور وهذا يرى سري عز وجل جعل بعض أوليائه، أولياء لأحررين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(١) وهذه الآية تترك في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه سلام والتأكد ليس المقصود بالولاية ها، الولاء القلبي والعاطفي، بسبب وجود كلمة «إيمان». وكذلك وجود عبارة «وليكم الله» الآية إذن تقوم بتبيين خلافاً للآيات ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ﴾^(٢)، و﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٣) ومن هذه الآيات، يدرك عدداً من الحق الله المطيعين، بأوليائه، فهو ولي كل هؤلاء. وبعض أوليائه لمقربين أولياء أحررين أقل مرتبة، وليس على أحد من هؤلاء، خوف ولا هم يحربون، بل أن الجميع يدخلون لحة ويسعدون بصحبة الصالحين.

وهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي تؤكد هذا المعنى فقد ورد عن سدير صيرفي أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام. جعلت هذا يا ابن رسول الله (ص). هل يكره مؤمن أن تفص روحه؟ فيجيبه الإمام عليه السلام بالمعنى، ويقول له أن ملك الموت يأتي إلى الإنسان ليفص روحه، فيدي هذا الإنسان متعاصياً في الدنيا، ثم يعطيه ملك الموت ويقسم له بالله سدي بعث محمداً (ص) برسائنه، أنه أرحم به من أبيه، ثم يطلب منه أن يفتح عييه وينظر، فيعمل الرجل، فإذا به يرى أمامه الرسول وأمير المؤمنين والحسين والحسين وأسؤهم المعصومين، فيعرفهم ملك الموت للإنسان ويحسره بأنه

(١) المائدة - ٥٥

(٢) المائدة - ٥٦

(٣) التوبة - ٧١

سيكون حبسهم ثم يسمع لرحل ماديًا من حيث الحق أن يا أيتها النفس
لمصمته بمحمد وأهل بيته، رحمني، يي ربك، راضية مشموله بولاه الأئمة
مسروقة بها، وموصية من قبل البري عرو وحلي، فادحي في رمة عادي
الصالحين وادخلي جتي التي أعدتها.

ها من نفى هذا الإنسان مؤمن ما سئل به، ويصح همه الوحيد، أن
يتعجل الموت.

ويقل عبد الرحيم لأقصر عن الإمام الناصر أن الروح عندما تصل إلى
حقوق الإنسان حين يوفيه، يرل عليه من الموت ويأثله عن رعاته ويضمن له
تحقيق ما يريد، ويعد ما نكره. ثم يفتح له باب عن مرله في الجنة، ويطلب
منه أن يطر يي دحيه، يري فيه رسول الله (ص) وحسن (ع) والحسين (ع)
بأنظره وهذه الرويات هي تحميمه بقول لاري عرو وحلي ﴿الذين آمنوا
وكانوا يتقون، لهم الأجر في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾^(١)

في محور لاري حرى من حارث التهمدي وأبهر مؤمنين (ع) والذي
بمنه اصبح من سافة، جاء أن أمر المؤمنين شر حارث بأنه سيرى الإمام، عند
موت، على المحور وفي مفسمة، فبأنه حارث عن مفسمة، ويحيه
الإمام بأنه يتفهم مع برحهم يوفين. فنون بها، هد حارث من أصحابي
دتركيه، وذلك من أعدائي فالتهمة.

وهذا يحدث من الأحاديث مشهورة، روه العديد من الرواة الثقات،
وأيده عدد من الأئمة

وفي حديث عن عبد المؤمن ع يقول فيه أن أحد من محبيه لا يموت
ولا ويره إلا في مكان يدي بحب، وأن أحد من أعدائه لا يموت إلا ويره
الإمام في المكان الذي يكرهه هذا الإنسان.

(١) يونس، ٦٢، ٦٣

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الإنسان عندما يحضره
السوفة، سوكل بليس عدداً من شياطينه المساعدين به، سرعرة إيمان ذلك
الإنسان ومحاولة دفعه نحو الكفر، لكن هؤلاء لا يتمكنون من إيمان المؤمن لحسنه،
ومن هم يقوم الناس بتفني المحتضر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله، حتى يغادر الدنيا.

ويمكن إدراك مصموم الرواية السالفة من خلال استعراض الآيات التالية.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ و ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ويدعو من هذه الآية أن
قولاً ﴿أكفر﴾ و ﴿إني بريء منك﴾ قد حدثا في زمان واحد، وهما من نوع
واحد، وما أن الآية تحدث عن خطايا فلا يمكن أن يكون كلا لقولين، ساء
حال الشيطان أدناً

وينقل العياشي في تفسيره، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول
فيها أن الشيطان يحيط بأصحابنا حين الوفاة، من يمين والشمال، ليحرهم عن
إيمانهم ويهجمهم لكن الله يسمعه من ذلك، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) وهناك الكثير
من الروايات المفقولة عن الأئمة في هذا المجال

ما تقدم من معانيهم، يمكن استباطها من اقوال والسنة - وستحدث في
فصل لاحق - عن السرايين التي تشتت تحرر النفس، وعدم فوائدها بالتموت،
وافصالها عن الجسد.

(١) الحشر: ١٦.

(٢) الحشر: ١٦.

الفصل الثاني:

البرزخ

حدث عدمان يقعان بين عدم الجسم والخصائيات، وعدم أسماء الله، وهما عدم العقل وعدم مثلث وكل موجود، لا بد وأن يعود في نهاية ذي نظمة بـأيته وفي بحثنا، ثبت أن جميع هذه العوالم تبدأ من عدم خصائيات وحتى عدم أسماء الله بحسب (أساس لعدم كنه). فرب ما مدنية، على أساس نقص أو كمال كل منها، لكنها جميعا، تمت وجود متساوية في نفس ومعنى ذلك أن صاحب المنة العليا يرب إلى المنة بوسطية، ووسطية يكون كأمرة، يعكس ما يمدح عليها من أضواء وألوان، وفي اتجاهه ليس ما ظهر من عظمى المنة، هو ذلك بعد رأسي تتمكن هذه الأمرة، من عكسه، وهكذا فإن طبيعته وكيفية نحوي، تظل مرهوبة بنفس الأمرة أو كمالها.

كما أن من الأمور التي نشهدها في بحوث أخرى، هناك عدم، كالبرزخ، تقع بين العقل مجرد، والمجردات المادية، وبما على هذا فبما عالم موجود، كنه من مادة، رغم أنه يحمل بعض صفات المادة، مثل المقدار وشكل والعرض الفعلي.

بهذه المقدمه يمكن توضيح حال الإنسان حين تنقله من الدنيا إلى الآخر في مرحله ما بعد الموت وهذا رأي من الضرورة أن يمعن القراء ويدقق بحمسه

أولاً: تصور معنى المادة.

ثانياً: المادة جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأحاسيس
ثالثاً: وجود المادة في الأجسام يفسر التغيرات والتحويلات التي تطرأ على
الجسم

رابعاً: المادة ليست جسماً، وليست محسومة.

ومن الخطأ الاعتقاد أن المادة هي ذات الجسم الذي نراه في الموجودات
المختلفة. فهذا الاعتقاد الخاطئ، وقع فيه بعض العلماء السطحيين، مما
أوقعهم في عدم إدراك ما قدمه المثاليون وأهل البرهان، بالشكل الصحيح.

فعندما قلنا أن ليس للبرزخ مادة، أو أن لذات البرزخ خيالية أوليات
عقلانية فقط، تصوروها أننا نعتبرها وهماً وسراباً ليس أكثر، وهذا الاعتقاد باطل
في حد ذاته، وفي نفس الوقت، انحراف في إدراك المقصود.

وعلى أي حال، فإن البرزخ، هو كما رأيتوه، وكما يشير إليه الكتاب
والسنة، ولأن الأخبار والروايات المتوفرة، تشتمل في الغالب على الآيات الواردة
في هذا المجال، لذلك سنركز على استعراض الأخبار وشرحها وتأتي الآيات
المطلوبة خلالها. فقد نقل عن أمير المؤمنين (ع) أنه يستند في رده على الذين
ينكرون وجود الثواب والعقاب بعد الموت وقبل القيامة، إلى قول الباقر عز
وجل.

﴿يَوْمَ بَاتَ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ. إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(١)
ولمقصود بذلك، تلك السماوات والأرض الموجودة قبل القيامة، وحيثما تقوم
الساعة، تبدل إلى سماوات وأرض أخرى. ومثل ذلك قول الباقر عز وجل

(١) هود: ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨

﴿ ومن ورائهم يروح إلى يوم يعثون ﴾^(١) حيث المقصود بالروح هو اثوب
ولعاقب في مرحلة ما بين الدنيا والآخرة، وكما يرى في الآية ﴿ النار يعرصون
عليها عدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ﴾^(٢) فإن القيامة، مكان الجلود، وليس
فيها ليل أو نهار، فهما من صفت الحياة في الدنيا

وحول أهل الجنة يقول الله تعالى: ﴿ ولهم رزقهم فيها بكثرة
وعشياً ﴾^(٣) ومن الواضح أن «الصبح» و«العشية» يقصد به الصباح والمساء في
جنة قبل بقيامه، ذلك أن الله تعالى يقول ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا
زمهريراً ﴾^(٤) وفي هذا سياق تأتي الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من
فصله ﴾^(٥).

إن المقصود سار في ﴿ النار يعرصون عليها ﴾ هي نار الآخرة، لكن
شخص الذي يُعرص عليها هو في عالم الروح، كما تدل على ذلك نهاية الآية
﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾^(٦) وسيأتي هذا
الموضوع في روايات تطرق إليها فيما بعد. فمثلاً عندما يقال أن باباً تفتح في
لقر، على نار جهنم، ليدخل منها بعض ليهب النار، فإن ذلك يعني أن نار
الروح هي غية من نار الآخرة، وعدائه نموذج من عذاب الآخرة. أما المقصود
سار في ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار ﴾ فهي نار الروح من هنا تتضح
صحة الجمع بين أمرين دخول النار، وعرض الإنسان على النار

ولو دققنا في الآية ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في
الحميم ثم في النار يسجرون ﴾^(٧) لرأينا أنها تحمل مدلولات الآية السابعة،
فالسحب في الحميم، هو مقدمه للإدخال في النار، وهو ما يقع يوم القيامة

(٥) آل عمران. ١٦٩، ١٧٠.

(٦) المؤمن: ٤٦

(٧) المؤمن: ٧١، ٧٢.

(١) المؤمن: ١٠٠.

(٢) المؤمن: ٤٦.

(٣) مريم: ٦٢.

(٤) الإنسان: ١٣.

تجسم الأعمال

بمثل عدد من المفسرين، أمثال العيشي والقمي ونكسي في «الكافي»
 وسعيد في «الأمالي» عن أمير المؤمنين (ع) قوله أن الإنسان عندما يصبح في
 آخر يوم من حياته وأول يوم من آخره، تتحسم أممه أعماله وأبوه وأمواله،
 فيحاسب منه ويقول له بأنه جمعه وحرص عليه، فمداً سيعطيه لأن، فيحجب
 حال أن يسر لصاحبه عنده أكثر من الكف، ثم يتجه إلى الله فيذكرهم بأنه
 رعاهم وحماهم، فمداً، سيقدمون إليه؟ فيحيون بأنه أحسنه إلى القبر ويهيئون
 قرب عيه، ثم يتجه إلى عمله وسأله نفس السؤال فيحجب بأنه سيطلب معه في
 نفس ويوم عبدة حتى يعرضوا جميعاً على الحاق عمر وحل فإن كان هذا
 الإنسان صالحاً من أوبى الله، يتمثل أمامه شخص حزين الوجه طيب الرائحة
 نحو لهدم فيشره - ﴿فروح وريحان وحة نعيم﴾^١ وأنه سيدخل «فصل
 مرور» فيقال الإنسان الصالح من أنت، فيجيب: «أعمت بصبح، واستعد
 لمحبة، ثم يصب هد الشخص من المعسل والحامل أن يسرعو في عملهم
 وعندما يرد بشر بأنه لملكان، شعرهما طويل وأباهم نفس إلى الأرض،
 صوتهما كالرعد، وعيوبهما كالنرق، يسأله من رث؟ ومن سيث؟ وما ديك؟
 فيجيب الله ربي ومحمد (ص) بي والإسلام ديني بعده، يدعون به، بأن
 يشنه الله فيما يحب، وهد هو مصموم الآية ﴿يثبت الله الدين آمنوا بالقول
 الثابت في الحياة الدنيا﴾^٢ ثم يقوم المصموم لتقرب وتفتح له باباً
 على حنة ويقولان ادخلها هنا قريير العين، وهو مصموم الآية بكريمة
 ﴿أصحاب الجنة حر مستقراً وأحسن مقيلاً﴾

أم يوك هذا الإنسان عدو الله، فيأتيه شخص بملاس فدره، رائحته منه
 فيشره - ﴿نزل من حميم ونصلياً جحيم﴾^٣، ثم يطلب من المعسل

(١) الواقعة - ٨٩

(٢) الحشر: ١٦

(٣) الواقعة - ٩٣ - ٩٤

والجائن أن ساطوا في عمدهم وعدم إدخالونه العر يأتية الملكا فسحاه
من كفه وسألاه من ريث؟ ومن سك؟ وما ديك؟ فحيث لا أدري، فيمور
بملكاه له لم تعرف، ولم تهذب ثم يهالان عليه صرباً سباط من حديد ودر،
بدرحة بعث العرب دي كل موحودات الأرض، إلا الحن والإس بعدد
مئوداً على بـ رجهـ ويقولان له «و في أسوأ وضع، ثم يصيق عنه
مقر ويصعقه حتى يخرج محه من رأسه، ثم يسلط الله تعالى عليه، من ثعدين
وعقرب وحشرات الأرض ليلدعه وتهش جسمه، ويستمر هذا حتى يتمي ويدعو
الله أن يقيم الساعة ليتخلص من هذا العذاب.

بـ لا اله الا الله الكريمة ﴿ يثبت الله الذين آمنوا ﴾ تشير إلى هذه الآية
﴿ ألم تر كيف صرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويصرب الله الأمثال للناس
عنهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض
ماؤها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة ويضل الله الظالمين ويعمل الله ما يشاء ﴾ (١) ففي هذه الآيات يسر
سري عر وحل ن هـ كـ كلمات بها حدوث وأصول ثابته تؤتي ثمارها الطيبة في
سـ زمان، هذه الكلمات وصفها الله بالظاهرة وأشار إلى أنها تصعد إليه
كذلك يصعد العمل الصالح إليه

كما قال الله تعالى من كان يريد العرة فلنـ لعة جميعاً (٢) ثم بين طريق
وصول إلى هذه لعة ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه ﴾ (٣) ففي هذه الآيات أوضح الباري عر وحل أنه شت المؤمنين بهذه
كلمات لطيفة في تدب والآخرة، فهو يقرن الكلام بلحظ بية لإسـان - بضمه
- بـ ونكون استبحه، أحد أمرس، أما أن يثبت الإنسان بالقول الثابت أو أن
- بـ ويصل - « فهو غير لثابته الذي عر عه القرآن الكريم - «الكلمة

(١) إبراهيم ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧

(٢) طاهر ١

(٣) طاهر ١

حشنة، وسيجبه بطبيعته يكون، طريق سعادته، أو طريق الشفاء في الآخرة
بعد محاسبته وسؤاله، وهذا طريق لا يمكن أن يساويها

ومن حيث حر، فإن لحائق حل وعلا بحرنا أن لقول الطبيب ولشبهت،
بعضى ثمره وشأنه، ذلك بيده هو ومن خلال الآيات السابقة ذكر، يستجح أن
موقع وثمار ثمنه يصب تصهر في ي رء و ممكن، وهذا يعني أن السؤال
والحساب موجودات في كل زمان ومكان.

ومن خلال بحث الإمام صادق (ع) دلالة سألته لذكر، يمكن استباط
هذه حقيقة، وهي أن لله سبحانه وعاني جعل السرح مستمرراً بحياة الدنيا،
فعباده (وهو هو قول الله سبحانه أن أصحاب الجنة) الواردة في
حديثه، بما يشير إلى قوة عيسى عليه السلام وقال الدين لا يرحون لقاءنا لولا أنزل
عينا الملائكة أو يرى رسالته استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً يوم
يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمحرمين ويقولون ححرأ محجوراً وقدمنا
إلى ما علموا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً أصحاب الجنة يومئذ خير
مستقراً وأحسن مقيلاً ١ هذه الآيات هي من أكثر الآيات صراحة بشأن
السرح، والمقصود به (مفسر)، اليوم في فترة ما قبل الظهر ومعروف أنه ليس
في حبة الآخرة يوم، ورغم أنه ليس في السرح أيضاً من أشكاه يوم الدين، إلا
أن المقصود دلالة الكرمية، هو أن مكانة السرح، من بياض، بضعة نوم
يقبونه، ذلك إلى نقطة ومن هنا جاء الوصف لإبهي بيوم العتاة بأنه يوم
«نقمة»، وهذا ما يدعو لإمام عيسى وصف حب لإسكاف في السرح، بأنه يفتح
عنه ما يفت على الجنة ثم يقبل له به فريز عين، أو على جهنم فيقال له سم
في أسوأ حال.

ورغم أن هذا المصنوع نكرر في أحداث عديدة أخرى، إلا أن أهمها
لا يحدث عن دخول المتوفى، لجهنم، بعد الموت مباشرة، بل تشير كل

روايات إلى أن نصح به على أخيه بيشم من عيقتها ويرى مرله فيها، ثم
قال له سم هذا قرير العين.

وقد تقدم فيم سو، حدثاً عن الإمام السافر، الذي يصف فيه لموت
يوم عندما سألوه عن الموت، فأجاب بأنه كالسوم الذي تأتيكم كل ليلة،
ويعرق أنه طول مدة، ولا يصحو منه أبائهم، إلا يوم القيامة

سأ على هذا سررح من أكثر من عينة ومودح لقبه، وقول لإمام
القر يسوع سعة ومن قسبة عين المتوفى على رؤوب، بما هو يبيع
حسيل لهد الأمر ما المتصور لأيه يوم يرون الملائكة لا بشرى ﴿
تجرو و يوم يرى فيه متوفى الملائكة، والدليل على ذلك قول السوفى
﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾. وهذا لقضاء به في عالم السرح حيث تحقق
للإنسان الشرى أو عكسها

لمتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

بهم من لاية سعة ذكر د المحاسبة في ستر نظر المؤمنين
وسطمين فقط، ولم تنصق لاية يس وضع المستضعفين والموسطين وبع
عد مفهوم يتضمنه بعيد من روايات فقد ورد في الكافي عن الإمام
صادق عليه السلام ب موخده ومحاسبة في النمر بما تشمل أهل الإمام
حاصر وأهل ككب سحاب فقط، دون الآخرين وفي تفسير قمي، ينقل
عن صررس بكاسي أنه سأل الإمام السوفى عن حساب غيره وحسب من هو من
موحدين ومؤمنين بسوف محمد (ص)، كنه عدس، ويس له إمام، ولا يعرف
الاست، فأجاب هؤلاء يقول في قورهم قول كنت يديهم أعصاب صالحة وم
يأصو هل سب سعة فحسب على قورهم باب من بحسب، فيهب عيها
مها سيم عطر به حل سرور في قورهم، حتى سلاص ربه يوم القيامة
فيحسبهم، ويحاربهم على حسابهم، فيؤخذهم في سبتهم. هؤلاء قورهم
مرهون بالباري عز وجل.

وكذا الحال مع المستضعفين والبهائم والأطفال، وأثناء المسلمين الذين لم يطلعوا من الرشد. وعندما يقول الإمام (ع) أن أمر هؤلاء مرهون بالذي عرّوهم، فإنه يشير إلى الآية الكريمة ﴿وَأَخْرَجُوا مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ أَمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَأَمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

وحاصله الأمر أن جميع البشر، يتعرضون للحساب الذي يتحدد على أثره، عيشهم في النعيم أو العذاب في الجحيم ويستثنى من ذلك المستضعفون ومن في عدادهم

تجسم الأرواح في البرزخ:

ينقل الشيخ المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الله سبحانه وتعالى عندما يقبض روح إنسان، يعثها في الجنة بنفس الشكل الذي كانت عليه في الدنيا، فتمارس هذه الأرواح نشاطات الأكل والشرب.

وينقل صاحب «الكافي» عن أبي ولاد الحنظلي أنه سأل الإمام الصادق (ع) عن شكل أرواح المؤمنين، فقال الإمام أنها تأخذ نفس الأشكال التي كانت عليها في الدنيا. وفي رواية أخرى في الكافي، يقول الإمام الصادق أن أرواح المؤمنين تتخذ نفس أشكالها الدنيوية فتجتمع على شجرة في الجنة لتتعارف فيما بينها وتساءل كل منها عن الآخرين، وكلما التحقت بها روح جديدة، قالت الأولى، أفسحوا لها، فبينها قادمة من الأهوال والخوف العظيم.

وهناك الكثير من الأخبار الواردة في هذا الشأن، لكنها تحصر المؤمنين فقط، أما حال الكافرين، فسيأتي الحديث عنهم لاحقاً.

(١) توبة: ١٠٦

لقاء الأموات بتوحيهم

ورد في «كافي» عن الإمام الصادق (ع) أن الشخص لمؤمن، يلتقي دويته بعد موته، فيحدثهم عما شاهدته وأدرك السرور عنده، ويحكي عنهم ما لفته من أدى وفي رواية أخرى يقول للإمام (ع) أن كل متوفى، سواء كان مؤمناً أو كافراً، لا يدور سوى دويته كل طهيرة، فإن رأى المؤمن دويته يعملون صالحاً، يحمدهم الله، ويرى الكافر دويته يعملون صالحاً، يعظمهم على ما هم عليه.

وفي «كافي» أيضاً ورد عن إسحاق بن عمار أنه سأل أباً الحسن (ع) هل يرور متوفى دويته أم لا؟ فيجيبه نعم ثم يسأله كم مرة يرورهم، فيجيب الإمام بأن ذلك يعود إلى مرتبة ومقامه عند الله. فقد يكون كل أسبوع أو كل شهر، أو كل عام، ثم يسأل وكيف يرور المتوفى دويته، فيجيب الإمام (ع) بأنه يرورهم كما يقف لطير يحمل على حائط دارهم ويطلع على ما يعملون، فيهرج دراحهم في حير وعذبة ويحرب دراحهم في صيق وأذى.

وهناك الكثير من الروايات الواردة في هذا الشأن والتي تشترك في المضمون نفسه المذكور، وباعتقادنا فإن تصوير الشخص على هيئة الطير الجميل، إنما هو من باب تجسيم الأرواح.

وربما يمكن إدراك معنى الرواية المذكورة أعلاه من خلال الوصف القرآني ﴿ولا تحسبن الدين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ فرحب بما أتاهم الله من فضله ويستثشرون بالدين لم يلحقوا بهم من حللهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ (١).

بعض المفسرين لا يستشبهون الموتى بالحيوات والسرور بها، وعادة يستبشرون سعادتهم «توضح بعض المفسرين أن الموتى لا يحزنون لأنهم

فهذه الآيات تنس لنا أن المقنولس في سبيل الله، يفرحون ويسعدون لكون دوابهم في نعمة وسعادة، وأن دوابهم يعملون صالحاً، ولما كان الله تعالى لا يصيب أحراً عاملاً، فإنه يحاري هؤلاء على أعمالهم ويسرل عليهم بركاته والفتى في سبيله يرون كل هذا.

ولهذه الآية، مضمون مشابه لما سلف ﴿وقل اعملوا فميري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾^(١)

حديث الشيطان مع أتباعه في القبر

يقول الإمام الصادق (ع) - كما ورد في الكافي - حول حساب انفس، أن الميت إذا كان كافراً، يقول له الملكان من هذا الذي معك، فيقول لا أدري، بعدها يتركه الملكان وحيداً مع الشيطان وفي تفسير العياشي وردت هذه الرواية أيضاً، وهي مستوحاة من الآية الكريمة ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾. و﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾^(١).

والحقيقة الثابتة هي أن عالم الروح، أوسع من عالم الدنيا بعدة مرات، ذلك أن «المثال» هو أوسع وأكثر من الجسم المادي وعلى هذا فإن كل ما ورد في الكتاب والسنة حول «الروح»، لم يكن أكثر من عموميات أوردت للمثال فقط، ولم تكن تفصيلاً وشرحاً كاملاً للموضوع

الموضوع الآخر الذي يجب إدراكه، هو أن الكثير من الأخبار والروايات، اعتبرت الأرض، مكاناً للجنة وسار الروح، وكذلك مكاناً للقاء الأموات مع

(١) التوبة: ١٠٥.

(١) الزخرف: ٣٦، ٣٨.

دوبهم، وهذا الأمر، مهم منه أن العلاقة المادية لعالم الأرواح، لا تقطع بشكل كامل، وهذا هو الواقع.

وفي كثير من الأحيان ورد أن حبه الروح تقف في وادي السلام، وبأره في «وادي برهوت»، أما مكان حمام الأرواح فهو عند قمة الصحرة في بيت المقدس

وفي رووت حري، ورد أن الأئمة، شاهدوا أرواحاً في أماكن مختلفة، وهذا الأمر تكرر مع الأوياء لصالحين في حالات عديدة، وكل ذلك دليل على وجود نوع من علقه الروح، لأسباب ترتبط بقدسية المكان أو الزمن أو الظروف المحيطة

الفصل الثالث:

النمخ في الصور

يقول لاري عرواحل ﴿وبوم يتمخ في الصور فمزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾^(١) و﴿نمخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نمخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾^(٢)

نمخ من الأيتن الكريمين أن هناك نمخين الأولى، للإمانة، والثانية للإحياء، ولم يأت في الآيات الواردة في هذا الشأن ما يمكن من تفسير «الصور» لعطياً، أما معناه العلوي فهو النوق الذي يتمخ فيه فيعطي صوتاً عالياً

السنة لدمحة الأولى، فإنها وردت في آيتين في سورتي المل والرمز السانتي الذكر فقط، لكن القرآن الكريم عرعه في أماكن مختلفة «الصبيحة» و«الصاح» وهي الصبيحة القوية و«القر» ﴿إن كانت إلا صبيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾^(٣) ﴿فإنما هي زحرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾^(٤) ﴿فإذا حاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه﴾^(٥)

(٤) المارعات: ١٣، ١٤.

(٥) عبس: ٣٣، ٣٤.

(١) المل ٨٧

(٢) الرمز ٦٨

(٣) س ٥٣

﴿ فإذا نقر في التاقور فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير ﴾^(١)

﴿ وستسمع يوم يناد المتاد من مكان قريب يوم يسمعون نصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾^(٢).

مر ها يمكن إدراك أن المعني بـ «الصور» في المصحن، هو البوق الذي كان يستخدم في إعطاء الأوامر للحمد، للاستعداد للحرب ثم حوضها. فهي الأولى، يسمع في «الصور» أن اصحتوا! و«استعدوا للتحرك» ثم يسمع ثانية أن «انهمسوا» و«ابدأوا الهجوم».

إذن فالصور، حقيقة واقعة، تشهد صبيحتان الصبحة المميتة، والصبحة التي تحيي ثانية.

ورغم أن القرآن الكريم لم يقدم تفسيراً كاملاً لكلمة «الصبحة» لكنه استخدمها في أكثر من ثمانية عشر حالة، ولا مناص من إتخاذ معناها الحقيقي المعروف كما أن الساري عر وجل عبر عنها أحياناً بـ «الداء»، وهو ما لا يكون بدون معنى محدد.

وحيث أن الساري عر وجل يتحدث عن سماع الناس للصبحة، وبعد أن «السمع» يقوم به الأحياء فقط. وأن الله يحزننا عن صمق هؤلاء، فإننا ندرك أن المقصود بحياة هؤلاء هي محرد سماع الصبحة، ولما كان من غير المنطقي القول بسمع الصبحة التي تمت فيهم الحياة، بعد القول أنهم أحياء، إذن، فإن المقصود هو أن الصبحة أو النعخة ليست أكثر من كلمة إلهية نemit لاس ثم تحييه. والله تعالى يقول ﴿ هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾^(٣).

(١) المندثر. ٨، ٩، ١٠.

(٢) ٤٢، ٤١، ٤٣.

(٣) المؤمن. ٦٨.

وعلى هذا فإن الصحين المذكورتين، هما كلمتان إلهيتان، الأولى سميت،
والثانية تحيي

ولأمر الحدير بالملاحضة هو أن الباري عز وجل عثر عن الإمامته بكلمة
«صعق» وليس «الموب»، ربما لأن لموت، لفظة تطلق على خروج الروح من
بدن، بما حكم لفتح، يشمل كل الموحودات في السموات والأرض، بما
في ذلك حلائكة ولأرواح، وفي قوله تعالى ﴿ لا يدعون فيها الموت إلا
الموتة الأولى ﴾^(١) الذي يصف به أصل الحة، إشارة إلى هذا الأمر وفي
مكن آخر وصف سري عز وجل الصعقة - «الموب»، وذلك في الآية الكريمة
﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من
سبيل ﴾^(٢) مع التأكيد بأن «مرتين» لا يقصد منها تكرار يقول الله سبحانه
وبعالي ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾، وهذا يعنى أن حكم
برزخ يشمل لجميع، وبما على هذا، فإن المقصود - «من في لأرض» الذين
يشملهم «عز» و«الصعقة»، بس الذين هم على قيد الحياة على الأرض بل
بمقصود به أوشك الذين قال الله تعالى عنهم ﴿ يوم تقوم الساعة. بقم
المحرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون. وقال الذين أوتوا العلم
والإيمان لقد نشتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون ﴾^(٣) ﴿ قل كم لبثتم في الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوماً
أو بعض يوم فسنسل المادين قل إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم
تعلمون ﴾^(٤) ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب
السما ولا يدخلون الجنة حتى يلج الحمل من بطن الحياض وكذلك نجزي
المحرمين ﴾^(٥) إذن هؤلاء أهل الأرض، حتى لو كانوا في عالم الروح

(١) الدخان: ٥٦

(٢) المؤمن: ١١

(٣) الروم: ٥٥، ٥٦

(٤) المؤمنون: ١١٤، ١١٥

(٥) الأعراف: ٤٠

ثم لمقصود من في السماء فهم لملائكة وأرواح سعداء والله تعالى يقول ﴿ وفي السماء رزقكم وما تُوعدون ﴾^(١) و ﴿ لكم ميعاد يوم ﴾^(٢) و ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات ﴾^(٣) و ﴿ أحل مسمى عنده ﴾ و ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ و ﴿ يرفع الله الذين آمنوا، وتخرج الملائكة والروح إليه ﴾ ويات أخرى كثيرة

بدل من لايات لدائه على وموج نصيحة على أهل لأرض، تدل كلها على أنها تؤدي إلى غلاب الأرض ودمارها على أهلها، كما يتضح من الآية ﴿ ما يبطرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾^(٤)، و ﴿ كل من عليها فار ﴾^(٥)

خلاصة الأمر، أن شحنة الأولى تُضيق، فطلب الدبيب من فيها، وعلى أهلها، ثم ينصح في تصور، فيموت جميع من في عالم الروح، ثم ينصح ثانية، فيبعث الناس جميعاً وتقوم القيامة.

وهناك نقطة مهمة وهي أن الأتيس الكريمنين ﴿ ما خلق الله، السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأحل مسمى ﴾^(٦) و ﴿ أجل مسمى عنده ﴾ قد فرق موت كل الموحودات لحية، لأحل المحدد، وقد يعني أنه لا يمكن لأي موت أن يقع بشكل اعتباطي، إنما لأحل مكتوب وهذا سطق على نصيحة ونصح بصاً لا يمكن أن يؤد إلى الموت إلا لأحل معلوم

(١) الأعراف: ٤٦

(٢) الدارينات: ٢٢

(٣) بآ: ٣٠

(٤) س: ٤٩، ٥٠

(٥) الرحمن: ٢٦

(٦) الروم: ٨

الذين يستنون من حكم التفخ في الصور

وأما فيما يتعلق بمقالة ﴿إلا من شاء الله﴾ الواردة في آية الفخ، فإنها تدل على سبب العجز من حكم الفخ في الصور، وهو ما يتضح من الآية ﴿يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ لكن ما طبعه هذا الاستثناء وما أسسه؟ الآية التالية تجيب على سؤال ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تحرون إلا ما كنتم تعملون﴾ (١) لمقصود بالحسنة بقراءة بكمة «أمر» والمصادفة في معناه «سيئة» هي الحسنة المطلقة، وليست المشوبة بالسيئة، وبهذا تكونت أعمال إيمان من حفظ من الحيات والبيات، ما كان أمراً من فزع يوم ينفخ في الصور، من وجود سيئات في عماله، وإلا لكان الوحيد الذي يكون أمراً من فزع، هو صاحب الحسنة لحسنة واحدة من أية سيئة.

وحيث يطبق الله تعالى على سبب اسم «الحيات» فهو الفخر ويجعل الحديث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعلهم في جهنم (٢) وكذا ﴿الحيثيات للحيثين والحيثون للحيثيات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ (٣) كما به ستر الكثرة ومعنى في حصة لحسنة وأرحس فقل عر وحل ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (٤) و﴿إنما المشركون نجس﴾ (٥)، من به عثر بعض درجات الإيمان، من اشرك حسماً بقول ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون﴾ (٦).

(١) سورة ٢٠

(١) الملحق ٨٩، ٩٠

(٢) سورة ٢١

(٢) الملحق ٣٦

(٣) سورة ٢٢

(٣) سورة ٣٦

د، فبدي نفسه ظاهرة من الشرك، هو ذلك الذي لا يؤمن بغير الله، ولا
تطمش نفسه إلى غيره، فلا يرى لله شريكاً لا في وجوده، ولا في صفاته ولا في
أفعاله. هذا هو المقصود بالولاية، وهؤلاء هم الذين تفوق عنهم الآية الكريمة
﴿ الذين اتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ لأنهم تطهروا أنفسهم بالولاية ﴿ يقولون
سلام عليكم ﴾. والمقصود بالسلام هنا هو الأمن الذي مضى كحديث عنه

عنه هـ. يظهر بأن «الحسنة» هي بولاه والآية لئلا تشر إلى ذلك
﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة برده
فيها حسناً إن الله غفور شكور ﴾^(١)

وفي تفسير نفسي بولاه بكرامة ﴿ من جاء بالحسنة فله خير مما ﴿ ورد
من حد لائمة قوله وأنه بر الحسنة هي الولاية بعينها وأن سيئة هي انزع
عنه لله وفي بكافي ورد عن الإمام صادق، فعلاً عن الإمام علي عليه
السلام أن الحسنة هي معرفة بولاه وحب محبي من بيت وأن سيئة هي بكار
لولاه وبعض من بيت، ثم لا إله نبي مراد كره

من تقدم يمكن أن يترك معنى بولاه بكرامة ﴿ ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
فإذا هم قيام ينظرون ﴾. يبدو من ظاهر الآية، أن الذين تصبهم بصعقة في
سجدة لأولي هم من بيتهم الذين يشملهم الغيب يوم يقوم حساب لرب العالمين،
سبيل لالة بكرامة ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة، فإذا هم جميع لدينا
محضرون ﴾^(٢)، لكن الله يعنى بولي من هؤلاء المحضرين، عباده
المخلصين، عدم يقول عن وحل ﴿ فإتاهم المحضرون إلا عباده
المخلصين ﴾ ثم يصف هؤلاء العباد المحضرين، بما جاء عن لسان أبيس
﴿ فعرفت لأعوينهم أجمعين إلا عبادك المحضرين ﴾^(٣)

(١) الثوري ٢٣

(٢) سن ٥٣

(٣) ص. ٨٢، ٨٣

وهكذا فإن الله تعالى يؤكد لنا، أن الشيطان لا يحد طرفاً إلى هؤلاء
 الأعداء، فلا يتمكن من غوئهم وهذا لإعواء، جاء بشكل «وعده» من الشيطان
 ﴿قَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا فَضَى الْأَمْرَ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ
 فَأَخَفْتُكُمْ﴾ أي أن يقول ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ
 وَمَآ أَنْتَ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وهنا لاحظ أن الشيطان يرجع يوم أسأله عنهم، لأن دسوسهم يعود إلى
 شركهم بالله، فصدوا أنفسهم وبأن أعدائهم من عباده ألبما

بأن فسادهم محضين هم الذين هم تنزل قلوبهم ويؤمنونهم بالسرك،
 وهم سرور الله وحده في كل شيء ولا يملكون من أمرهم أو صرهم أو
 حياتهم أو مآلاتهم شيئاً، وهذه هي الولاية

هؤلاء الأعداء محضين، هم وبناء الله، وهم مستترون من حكم بصعقة
 وصرع فهي حين يموت كل من في الأرض واسماء نحة في تصور، يوصل
 هؤلاء جانبهم يقول تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ (٢)
 و﴿لِسَمَاوَاتٍ مَطْوِيَاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ وهذا يعني أن سمواتهم فيها، سجل
 أحوالهم، ستطوى ومن هذا سر - المحضين الذين تشبههم الصعقة وصرع،
 هم يسو في السماء، بل هم في ما وراء سموات والأرض مما يعني أنهم
 معشور بداية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٣) أي أنهم من - «وجه»
 وعندما يكون لاية ﴿فَإِنَّمَا سَوَّلُوا لَكُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ فإن الأعداء المحضين (أولياء
 الله) سيجعلونهم بصر، وسيروون كل شيء، من خلال إحاطة «وجه» الله

(١) البرهم ٢٢

(٢) الأسماء ١٠٤

(٣) الزمر ٦٧

وفي نه جرى، وبعد ان يسر الله تعالى ان نهر الحبه في اسماء، واهل
سار في سار، يأتي إلى يصبحه شكل احمر فعون ﴿١﴾ وبينهما حجاب وعلى
الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴿٢﴾، وسأني تفصيل ذلك في مكان
اخر.

إذ تصح لآل العبد المحضين سكوتهم في ما من من لشهادته
و لأهوان سى تقع بين المحضين ﴿٣﴾ فإذا نصح في الصور نفحة واحدة
و حملت الأرض والحبال فذكرنا ذكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة ﴿٤﴾
ولدت، بمعنى لتدبير، فعندما نفوس ذككت شيء يعني أنك دمرته وسوته مع
الأرض

يقول ساري تعالى ﴿٥﴾ يوم نرحم الراحمين تتبعها الرادفة ﴿٦﴾

﴿٧﴾ يوم نرحم الأرض والجبال وكانت الجبال كثيراً مهيلاً ﴿٨﴾
و ﴿٩﴾ إن وليلة الساعة شيء عظيم ترونها تدهن كل مرصعة عما أرصعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد ﴿١٠﴾ و ﴿١١﴾ إذا الجبال سیرت ﴿١٢﴾ و ﴿١٣﴾ وتكون الجبال
كدمعش المسحوش ﴿١٤﴾ و ﴿١٥﴾ إذا برق البصر وحسف القمر وجمع الشمس
والقمر ﴿١٦﴾ و ﴿١٧﴾ إذا الشمس كورت ﴿١٨﴾ و ﴿١٩﴾ إذا الكواكب انتشرت ﴿٢٠﴾
و ﴿٢١﴾ إذا المشار عطلت ﴿٢٢﴾ و ﴿٢٣﴾ إذا البحار سجرت ﴿٢٤﴾

إذ طهر هذه الآيات بشير بشكل كبير، أي مقدمات «ساعة» و «بقية»،
وحراب الدنيا، وهلاك أهلها

- | | |
|------------------------|----------------------|
| (١) الأعراف: ٤٦ | (٧) القارعة: ٥ |
| (٢) الحاقة: ١٣، ١٤، ١٥ | (٨) القيامة: ٧، ٨، ٩ |
| (٣) الدارعات: ٦، ٧ | (٩) التكويز: ١ |
| (٤) المرملة: ١٤ | (١٠) الانعطاف: ٢ |
| (٥) الجمع: ١، ٢ | (١١) التكويز: ٤ |
| (٦) التكويز: ٣ | (١٢) التكويز: ٦ |

للقطة نتي يجب لاسه بها، هي أن حفصة (ماء بعد قل قام الساعة). يشك ب حفصة أخرى، وهي أن القيامة تأتي بعد الدنيا، كما هو الموت، ندي شت ب أن حرج تأتي بعد الدنيا، ولولا ذلك، لكانا اعتمدنا قاعدة «حاطه عام لمثل، ساعده لمدي أي لدينا» «بقولنا» «بعث والبشور» محيط بالدنيا والرزح أيضاً.

وحتى، لم يغضب صرف عن قصته إلا ص. في انقلاب المرمم، وفاء
الأسب. ومحررت في غيرة عاصمه بن شبيب، يوجب بطلان له المرمم
وانضمه موضوع «معه» و«قل» الزماتيتين.

الآيات الدالة على أحوال القيامة

هناك باب شه في مدينته هذه، ثلاث في أسف بحديث عنها،
يكفي سيرة إلى مصافحها كمن محض مثلاً في وسيرت الجبال فكأن
سيرة ما في ديصح منها، حركه بحر وسيرها كنحصر وحصى، ثم
سيرة كقطر سدوف، لا يعني بها نصيح سيرة من كما يقدر الله تعالى
في وترى لجمال نخسها حامدة وهي تمر مر السحاب، صبح الله الذي أنقذ
كل شيء في الدنيا، ويرى ما يقع في وقت خطب، وفي وقت
نصح، ومحبة هذه لاه بعد ما ديفح، إنا ندعو لأحمد لاسي، وعلى
هذا من لاه سيرة ذكرها، بقصص على ربة سيرة، حينما في تدهل كل

مرضعة عما أَرْضَعَتْ، وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سَكَارَى... ﴿٤٠﴾

لَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى، لَا يَسْجُمُ مَعَ عَارَةِ ﴿٤٠﴾ تَحْسِبُهَا حَامِلَةً وَهِيَ تَمْرُ مَرَّةً
السَّحَابِ ﴿٤١﴾، لِأَنَّهُ تَعْنَى أَنَّ الْحَبَالَ يَطْلُ عَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِفَامَةٍ
وَعِظْمَةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً عِمَارُهُ ﴿٤٢﴾ صَعَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٤٣﴾
الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَبَالَ لَا تَتَصَدَّعُ بِهَذِهِ السَّهُولَةِ

يَدُّ فِي حَرَكَةِ الْحَبْلِ، لِأَنَّهَا وَثِيقٌ وَثِيقٌ وَرَسُوْحُهُ، وَبِرْلُولِهَا يَتِمُّ شَكْلُ
مُتَوَاسٍ مَعَ تَرَدُّدِ اسْتِحْكَامِهَا، وَعَلَى هَذَا، فَإِنَّ سَرَابِيحَ حَرَكَةِ الْحَبْلِ يُمْكِنُ أَنْ
يَسْجُمَ مَعَ بَقَائِهَا، وَاتَّقَدُّ صَعْبُهَا وَاسْتِحْكَامُهَا

الفصل الرابع :

صفات يوم القيامة

يقول الله جل وعلا:

- ﴿يَوْمَ هُمْ سَارُونَ لَا يَحْصِي عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).
- ﴿يَوْمَ تُولَدُونَ مُدْرِبِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ *
- ﴿وَمِنْ مَالِكُمْ مِنْ مَلْحًا يَوْمُنَا وَمَالِكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ *
- ﴿يَوْمَ لَا يَعْني مولى عن مولى شَيْئاً﴾ *
- ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ (٢)
- ﴿وَالْأمرُ يَوْمُنَا لِلَّهِ﴾ *

عنه لا بأس، نصف يوم القيامة صفات عديدة قد لا نختص يوم القيامة فقط و «ألميت» و «لأمر» و «الغدر» صفات دائمة لله تعالى، أم المحنوقات

(١) آية ١٦

(٢) آية ٣٣

(٣) سورة ٤٧

(٤) آية ٤١

(٥) آية ٤٢

فهي مكتوبة به لا منحها منه لكن الله تعالى يقول

﴿ ولو يرى الدين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً، وأن الله شديد العذاب إذ يرأ الدين اتبعوا من الدين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾^١، ويوضح أن كل السل وعلاقات تنقطع بذلك وبعدم تأثير كل الارتباط وتثير بـ «موجودات في مضم الوجود لمادي وما فيه» فلا يعود هناك تأثير شيء على شيء، حر فلا يفسد شيء شئ حر، ولا بصر. وذلك بسبب الأسباب والارتباطات.

وبوم لقيمة لا يختلف شيء. فلا شيء مضي لا يفسد دون الموجودات وبفلات ماهية، وبما د كمنات الله تـ لا تتغير. فلا شيء يغير مما يرتبط بها، بل إن الذي يرون. هو ما نعتقد بموجودات سرية، إذ يرون كل شيء، إلا أن ربط الموجودات لله تعالى. وبما أن تلك الارتباطات لأخرى كانت بصفة سرية من أساس، فإن متى يحدث هو اكتاف بصلاحها، وبس فسادها أي اكتشاف حقيقة أن لا وجود ولا تأثير غير الله، ولا مانع غيره، ولا صاحب أمر وهذا هو قوة تعالى ﴿ ملك يوم الدين ﴾^٢ و ﴿ يوم لا تمدك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾^٣ و ﴿ لمن الملك اليوم. لله الواحد القهار ﴾^٤

وما وصف إليه سابقاً من اكتشاف بطلان الموجودات سرية والأساس بـ «مهمه» بـ «ي قوة تعالى» ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في عمارات الصوت والملائكة يأسفوا أيديهم أخرجوا أنفسهم ﴾^٥ حتى قوة ﴿ لقد تقطع بينكم وظن عكم ما كنتم ترعمون ﴾^٦

(١) الفرق. ١٦٥، ١٦٦

(٢) الفاتحة. ٤

(٣) المؤمن. ١٦

(٤) الأنعام. ٩٣

(٥) الأنعام. ٩٤

وفي نهج نلأعه، يرى الإمام عني عنه السلام يؤكد أن وحدانية الله
 تنكشف بعد فناء الدنيا، ويكشف أنه يوحد بني لا شريك له، وهو لنا في
 أرحد بعد فناء الدنيا، كما كان يوحد قبل خلقها، فيعدم الزمن، وتنتهي
 لأزمن والسكون، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار الذي ترجع إليه كل الأمور.

وفي «الاحتجاج» ورد أن هشام بن الحكم سأل الإمام الصادق عليه
 السلام، عن الروح، هل تبقى بعد خروجها من قسيها؟ أم أنها تنفي؟
 فأجبه الإمام (ع) أن الروح تبقى حتى يجمع في صور وعندها يصر كل شيء،
 فلا يبقى حل ولا محسوس ثم يعود كل شيء إلى سبيله الذي خلقه الله عليه،
 وهذا يتم بعد فناء الدنيا ثم لا شيء فيها خلق شيء. وهذه بقرة رهن الزمن
 الفاصل بين المحدثين.

ويصيف الإمام (ع) على ذلك، كما ورد في تفسير النعماني ثم يقول الله
 عز وجل ﴿لَمَّا مَلَكَ الْيَوْمُ﴾ فبأنه هو الذي يقول ﴿الله الواحد
 القهار﴾

ففي «توحيد» فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن الله تعالى
 سأل من سمع يوم؟ فجاب رواج الناس والمرسلين والجميع لله الواحد
 القهار

ويكمل النعماني في تفسيره حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام، أن الله تعالى
 سأل من سمع يوم؟ فجاب رواج الناس والمرسلين والجميع لله الواحد
 القهار، يقولون نحن وعلا بصفه المحيط، ويقولون الله الواحد القهار

بأنهم سألوا في الحديث لأسمه من هي لغة واحدة ولا حول تكفيه لجميع
 بين فناء السموات والأرض، ومن دون الناس والمنحطات وثباتها، ربه ففقدان
 يحوب على الله لا الهي ووجوده، ثم سأل في جواب ساري عز وجل على
 نفسه ﴿الله الواحد القهار﴾، وأمع النظر في كل سمع من صفة ﴿الواحد﴾
 و﴿القهار﴾ وفهم بعد ذلك كله، لأنك لا يكون في صحة الاستعداد
 الذي توصلنا إليه فيما مضى

بطلان الأسباب في يوم القيامة

عندئذ يأخذ كل شيء، وجودها مستقل، في كل لوب ستعود إلى مجموعة تحفلات سرية ووهية، ويكشف بطلان الأسباب ومات، وهذا هو معنى كلام لا إلهي ﴿عالمكم من الله من عاصم﴾ و﴿مالككم من محض يومه ومالككم من تكبير﴾ و﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانه﴾ و﴿يوم لا يعني مولى عن مولى شيئاً﴾ و﴿لا بيع فيه ولا حلال﴾ و﴿ولا تمنعها شعاع﴾ و﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله فاليها صلوا عما بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً كذلك بصل الله لكافرس﴾ فلا اله لأجره بل على بهم كابر محدوعين سرور سدي وبعده، بل يكون ساري عروجل ن لله يصل تكفيرين بعد سرور وفي لا إله كريمة تنية، ما يشهده معنى ﴿ثم يقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم فريدا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾^١ و﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾^٢ وكل ذلك يعود كلام لا إلهي ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾^٣ و﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٤

يوم القيامة وكشف الحجب والحمايا

عندئذ تنفي كل الأسباب والمسببات وما سرت عنها من تشراب، في يكشف كل «ص» لصور في «ظاهر»، وعند ذلك يتحد الغيب وشهده، لأن

(١) الحاقة: ٢٨، ٢٩.

(٢) المؤمن: ٧٣، ٧٤.

(٣) يونس: ٢٨.

(٤) القصص: ٦٣.

(٥) يوسف: ٤٠.

(٦) الذاريات: ٥٦.

لايه ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة
أبصارهم ترهقهم دلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ (١)

«القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ

إن انتهاء الأسب وروا الحجب، وانكشف النور المحيطة بالظواهر،
كنها تدل على أن القيامة محيطة بالذات، ومحيطه ما فيها هي بائدات، وما
سيأتي بعدها فالظن بضم الظاهر، الذي هو حاضر فيه، لكن عكس ذلك غير
صحيح، وهذا هو مفاد القول الإلهي ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن
يكون قريباً ﴾ (٢) و ﴿ أخذوا من مكان قريب ﴾ و ﴿ فلما رأوه رلقة سبث
وحوه الدين كفروا ﴾ (٣) و ﴿ ما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو
أزب ﴾ (٤) و ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت
من سوء ﴾ (٥) وفي هذا السياق أيضاً ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى
أهل مسمى لقضى بينهم ﴾ (٦) فالدسوق بالنسبة إلى شيء معين، يعني أنه
يؤدي إلى «حياة»، فمثلاً عدم تقبل «سقت إلى مكان كد» يعني أن هناك
شيء آخر، يمكن أن يصل إلى هذا المكان، وأنت أصبحت حدثاً فيه وبين
مكان عدم سقته إليه، إذ كلمة الله سقت فحالت بينهم وبين الأهل
تسمى لدى هو ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (٧) كل هذا
يدل على أن لخدمة محضة هؤلاء، ولولا الحائل الإلهي الذي حاد بينهم وبين
«الأهل»، شملهم جميعاً بحكم انقطاعي لقيامه والآيات الدالة تأتي في نفس
لساق ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو صبحها ﴾ (٨) و ﴿ كأنهم

(٥) آل عمران: ٣٠

(٦) الشورى: ١٤

(٧) الفرق: ٣٦

(٨) صافات: ٤٦

(١) القلم: ٤٢، ٤٣

(٢) بني إسرائيل: ٥١

(٣) الملك: ٢٧

(٤) النحل: ٧٦

يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ وقال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبث يوماً أو بعض يوم فأسأل لعاديين قال إن لبثتم إلا قليلاً لو كنتم تعلمون ﴿٢٣﴾ وقال الدين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴿٢٤﴾.

ظهور لباري عز وجل في ذلك اليوم

ب. مكثف ساطع، وسماء لصاحبه بني يحدث عنه، يؤدي إلى أن يظهر باري عز وجل في ذلك يوم، فالجحش يرفع، وانحش يكشف، ويصل الجميع إلى عتبة عبادات، ويسمعون في سبعهم منتهى إلهيات، وهذا هو بيان الإنهي ﴿٢٥﴾ يستلونك عن الساعة أيان مرسيتها فيم أنت من ذكرها إلى ربك منتهياً ﴿٢٦﴾.

ر ﴿٢٧﴾ إن إلى ربك المنتهى ﴿٢٨﴾.

و ﴿٢٩﴾ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية ﴿٣٠﴾

و ﴿٣١﴾ إليه ترجعون ﴿٣٢﴾.

و ﴿٣٣﴾ إليه المصير ﴿٣٤﴾.

و ﴿٣٥﴾ إلا إلى الله تصير الأمور ﴿٣٦﴾

و ﴿٣٧﴾ يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العدم عند

الله ﴿٣٨﴾

و ﴿٣٩﴾ يستلونك عن الساعة أيان مرسيتها قل إنما علمها عند ربي لا

(٤) التجم: ٤٢

(١) الأحقاف: ٣٥

(٥) الانشقاق

(٢) الروم: ٥٦

(٣) النزاعات: ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤ (٦) الشورى: ٥٣

يُجَلِّيْهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْثَةٌ
يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

إن هؤلاء السائلين، تصورو أن القيامة أمر زمني تمتد حدوده في زمانهم،
فسألوا متى ذلك؟! فأراد الله صرف اهتمامهم إلى موضوع آخر يمكن لهم
إدراكه، ولما أصرروا في سؤالهم، أجابهم جل وعلا بأن علم القيمة عنده، ولا
يمكن أن يكشف ليس بسبب معلوماتنا الناقصة، بل لمصلحة حميدة، وبهذا فإن
الله تعالى أتبع الحوار بعبارة ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

تبدد الظلمة يوم القيامة:

عندما ترفع حجب الدرجات والمستويات والخفايا يوم القيامة، ولا يبقى
شيء خافياً على آخر، سيمتلئ الفضاء بالنور. ذلك أن حقائق الأمور قد
تجلت، وهذا هو قوله تعالى ﴿ وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ ^(١) و﴿ يَوْمَ
تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ... وَأَشْرَةً - الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ ^(٢)
و﴿ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ ^(٣) و﴿ إِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ ﴾ ^(٤) و﴿ أَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالًا ﴾ ^(٥)

وقد ورد في تفسير القمي، حديث عن الإمام السجاد عليه السلام، حول
﴿ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾، يقول فيه أن المقصود به ﴿ غَرَّ الْأَرْضِ ﴾،

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) السماء: ١٩.

(٣) الزمر: ٦٩.

(٤) المعنوت: ٧٤.

(٥) الانشقاق: ٣، ٤.

(٦) المزلزلة: ٢.

هي أرض لا يرتكب عليها دس، أرض ظاهرة مكشوفة، لا شاهد عنها أي
 ساء أو حس، كما حققه الله تعالى مسبوقة نور مرة، أما عرشه فيكون على
 الماء، كما كان أول مرة، فكان على العظمة والقدرة الإلهية وليس هناك نقص
 بين ما فهمه عن سورته الموحود يوم القيامة، ولدت التي تحدث عن
 حرمات الكفر من سورة مثل ﴿ ومن لم يجعل الله له سوراً فما له من
 نور ﴾ (١).

و ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أظروا نقتبس من
 نوركم ﴾ ٢ و ﴿ يحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ٣

بيما قال الله تعالى عن المؤمنين:

﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ ٤
 و ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ (٥).

و ﴿ كم مثل في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ٥

و ﴿ أولياءهم الطاعات يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ ٦

ب. ظلمات التي عاصيها ككفر يوم القيامة، هي نفس ظلمات التي
 شروها في حياتهم وحلت لهم يوم القيامة وفي ذلك يعرف أن كلا ظلمات
 و سور موحود يوم القيامة، و مؤمنون وعمود سور، سيما بحرمات الكفر
 منه وعلى نفس ساق، فب. ما حدثت في رفع حجج من لإسناد
 وحالته

(١) السورة: ٤٠

(٢) الحديد: ١٣

٣ ص ١٢٤

(٤) الحديد: ١٢

(٥) الحديد: ١٩.

(٦) الأنعام: ١٢٢

(٧) البقرة: ٢٥٧

وفي القرآن الكريم آيات أخرى في نفس الموضوع ﴿فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾^(١)، و ﴿يحلِفون له كما يحلفون لكم﴾^(٢) وبهذا الصدد توحيد روایات بعد بأن المشركين يَكُونون يوم القيامة، وهذا ما يعتر، ظهوراً للمعصية التي قاموا بها في حياتهم، وبالتالي فإن ذلك لا ينافي مع مقولة أن الكذب غير ممكن يوم القيامة ذلك أن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته، سواء كان طاعة أم معصية، لا بد وأن يكشف يوم القيامة والله تعالى يقول ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾^(٣)

(١) الحل - ٢٨

(٢) المحاذلة - ١٨.

(٣) النساء - ٤٢

الفصل الخامس :

بعث الإنسان للمساءلة

ما كان معاد، هو عودة الأشياء، بكل وجودها، إلى مصدرها الأول، حيث أن هذه العودة، أمر ضروري، كما مر ذكره، فيها بحث أن تتم بكل وجود الأشياء، بما يتضمنه هذا الوجود من مراتب ودرجات وتجاهات مختلفة وعلى هذا، فإن متحاق جسم بالفساد عند معاد، أمر ضروري ولشأنه لأى (سبب) تشمل به شئ لا حرق، التي فيها حرق مرحل كمال واحية، منها يعود بدن إلى « نفس » فتعود إليه بحية واندية

في حديث دام صادق (ع) إلى السيد بن معرف - كما ورد في (الاحتجاج) - ساره بعد موضوع، يقول أنه أن الروح تسكن في قلبها، فروح محسن و مضيع تسكن في نور ورجح، فيما تسكن روح معدى في لظلمة، و شدة أن جسم يعود مراتب خلق أول مرة، وما تأكله حيوانات امقتسه و احتسرت بنحو، إلى فصلاات بعد في سرب بقا و من يحصى على الله، و هو مقدر مرة في صمد لأرض، فهو لذي لا يحصى عليه حاسة، مهم صمد ب حجم و وزن و يصل سرب الموحود ذات بروج، بين باقى سرب، كالذهب المدفون في الأرض، وعندما يحرق وقت البعث، تمطر السماء، مطراً لبعث، بعد سرب دأص و بهتر، يتميز تراب البشر عن باقى سرب، فيطفو وكأنه يذهب لمعور، ثم يجمع سرب، كل في قلبه، و يستقل، بإذن ربه، إلى

حيث لأروح، ويأودد الله المصور بعود الأحصم إلى شكلها السابق، وتحل فيها روح فيكتمل لأمر، ونعود الأحصم وكان شيئاً لم يتغير منها

وهذه لصورة يمكن ملاحظتها في التمثيل القرآني لسمت، أنه كرجاء الأرض وأحيى بها بلدة ميساً كذلك الخروج ﴿١﴾ و ﴿٢﴾ وتري الأرض هامة فبدأ أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأبتت من كل روح بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴿٣﴾ إذ ملاحظ هنا أن رسال المادي (أي البدن) عندما يصل إلى العاية التي حددها الله تعالى، يطرأ عليه التبدل والتغيير، وهذا هو قول الله:

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر مარاً، فإذا أنتم منه توقدون ﴾ (٣)

فالآية لكريمة تؤكد أن الذي يقدر على إصرام النار في شجر لا حصر - رغم التصاد الموحود - لهو قادر أيضاً على إحياء العظام وهي رميم، وبمس مصموم تأتي الآية الكريمة ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشكم فيما لا تعلمون ﴾ (٤).

و ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ﴾ (٥) والمقصود في تبديل الأمثال، هو الحق المتكرر، حيث ورد في الآية ﴿ بل هم في لبس من خلق جديس ﴾ (٦) و ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ (٧).

والمقصود بـ «الأمثال» هو ذلك المصطلح المستخدم في العلوم لعقلية،

(١) ق ١١ (٥) الإنسان ٢٨

(٢) الحج ٥، ٦، ٧ (٦) ق ١٥

(٣) يس ٧٨، ٧٩، ٨٠ (٧) الرحمن ٢٩

(٤) الواقعة ٥٩، ٦٠، ٦١.

أي «لاحد نوعي» ولاحلاف شخصي باعتبار أن مثل شيء، هو غير الشيء نفسه ولهذا لا يمكن لاستدلال بالاية ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾^(١) بلرد على منكري الحشر، لأن «حق منها» لا يعنى إعدادها ثانية إذن فالمقصود - «يخلق مثلهم» أو - «تسبيل أمثالهم» هي التعبيرات التي تحرى عيهم دون أن يحرج من طر وجودهم الأصلي وفي هذا السياق، نجد الكلام، لإنهى أحياناً، يستدل «مثل» بـ «عين» كما في قوله:

﴿أولم يرو أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾^(٢) و ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٣)

إذن فالمقصود - «مثل شيء»، هو الشيء نفسه وهذا لاستخدام هو نوع من الاستعارات سموية وحلاصة الأمر، أن جميع الآيات السبعة المذكور تؤكد أن الأجسام في حالة تغير دائم من حال إلى حال، حتى تصل إلى يوم القيامة وتنشق لأرواح ثانية بقول الله تعالى ﴿وإذا القبور بعثرت﴾^(٤)

و ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ حيث استخدم «ماء لتدليل على الأحكام، وكذلك ﴿فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة﴾^(٥)

سير الأرواح إلى خالقها

على الرغم مما تحدث عنه، فإن الروح تحرك نحو خالقها، والله تعالى يقول ﴿من الله دي الممارح تمرج الملائكة والروح إليه في يوم كان

(١) يس. ٨١

(٢) الأحقاف ٣٣.

(٣) الشورى ١١

(٤) الانعطار. ٤

(٥) النازعات ١٣، ١٤

مقداره خمسين ألف سنة ﴿^(١)﴾ إِنْ وَالرُّوحَ، كَالْمَلَائِكَةِ، تَعْرَجُ إِلَى اللَّهِ وَكَدَا
 الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿^(٢)﴾ وَفِي آيَةٍ أُخْرَى تَتَحَدَّثُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ،
 وَأَهْلِ الشَّقَاءِ يَقُولُ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ﴿^(٣)﴾ وَ﴿لِلْآخِرَةِ الْكَبِيرِ
 دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿^(٤)﴾ وَعَنْ أَهْلِ الْحَقِّ يَقُولُ ﴿كَلِمَا رَرَقُوا مِنْهَا مِنْ
 ثَمَرَةٍ رَرَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ ﴿^(٥)﴾، أَمَّا عَنْ أَهْلِ
 جَهَنَّمَ فَيَقُولُ تَعَالَى ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿^(٦)﴾، وَقَدْ
 قَدْ حُلَّ وَعَلَى أَنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ هُمْ حَطَبُهَا، وَبِهِمْ يَرْدَادُ سَعِيرُهَا، وَابْطَفَؤُهَا يَعْنِي
 نَارُ أَهْلِهَا جَمِيعًا

١- جبرج ٤، ٣

٢- جبرج ٤، ٣

٣- لاجد ١٩

٤- جبرج ٤، ٣

٥- جبرج ٤، ٣

٦- جبرج ٤، ٣

الفصل السادس:

الصراط

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ كُفْرًا وَظُلْمًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْرِقْ بَيْنَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾^(١) و﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ، وَغَوَّاهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾^(٢).

في هذه الآيات، يحذر الساري عر وحل، أنه يهدي الصراطين وأرواحهم - أي شيطانيهم - إلى جهنم والمقصود - وأرواحهم - هو الشياطين، وهو ما ينهم من الآية للكرامة ﴿فَوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم حثيثاً﴾ إلى أن يقول ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَندر الظالمين فيها جثياً﴾^(٣).

إذن، وكما تشير هذه الآيات، فإن الصراط هو طريق يقع على جهنم أو في داخلها، ذلك أن الساري عر وحل يحذرنا ما عر الدوروده إليها

(١) النساء: ١٦٨، ١٦٩

(٢) الصافات: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٣) مريم: ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢

والـ«حياة» منها وفي آية أخرى يحزننا القرآن عن «لاملاء الجحيم»
لجهم

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لا ملأ جهم
من الجنة والناس أجمعين﴾^(١)

وهذا الطريق الذي يمام على طول جهنم، هو ممر لكل حق، الصالح
سهم، يسمى، إذ يحيي الله المتقين منهم، ويترك الظالمين، في سعيهم لئلا
يصيبهم من كلمة «الظلم» تتكرر عدة مرات وكذلك «الطغيان»، من ﴿الذين
طمعوا في البلاد﴾^(٢) وهو الإصرار في الظلم والاستكثار ﴿فاكثروا فيها
الفساد، فصب عليهم ربك سوط العذاب، إن ربك لمبالمرصاد﴾^(٣)
و ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾^(٤)

و ظلم والتفريط بحق الناس، والتفريط بحق النفس أو في حق الله
تعالى، إنما يحدث بازع الشيطان وغوى النفس، وتمتد جذور ذلك في تعلق
الإنسان بالدنيا واحداً من مريدتها وبالأوهام التي تشكل مجموعها ما يسمى
بالتمدن، وهي أوهام لا حقيقة لها، يمل ذلك ما يسألون عنه كم في
﴿وقفوا هم أنهم مسؤولون، فانكم لا تنصرون بل هم اليوم
مستسلمون﴾.

وحول تفسير «أنهم مسؤولون» روي عن الإمام الصادق (ص) بأن العبد لا
يحظر يوم القيامة خطوة قبل أن يسأل عن أربعة أشياء: عن شأنه كيف عايشه،
وعن عمره كيف قضاه، وعن ماله كيف جمعه وكيف صرفه، وعن حبه من أهل
بيت وبورد «القيمي» في تفسيره رواية عن الإمام الصادق (ع) يقول فيها أن
لدي هم عنه «مسؤولون» هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

(١) السجدة ١٣

(٢) الصحر ١١

(٣) الصحر ١٢، ١٣، ١٤

(٤) البقرة ٢١

وفي حديث شريف، يقول النبي (ص) إن ساس كنهم مدحون بار، ثم
 سداؤ مدحون منها حب أعمالهم فقول من يحرج، يكون حروجه كصوء
 سرف، وثاني يحرج كما بهت تريح، وثالث كركض الحصان، ولأجبر
 كالسير على الأقدام.

وعن سي (ص) أن الر يقول للمؤمن يوم القيامة «أعبر بسرعة،
 موت يكاد يحمده لهي» وعدم سأل النبي (ص) عن آية ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا
 واردها﴾، يقول عدم بدخل مدحون حبه، تار مجموعة، مجموعة
 حري أم بعدد ربا أن مدح الحجة جميعاً؟ فحب المجموعة لأخرى، فقد
 دخلتم لكن البار كانت قد بردت.

الفصل السابع :

الميزان

يقول سري عر وحس ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (١).

في هذه الآيات يس الله تعالى أن الوزن، هو من الحقائق الشابتة يوم قيامه، ولعل المقصود بالجمع (الموزين) في عبارة ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾، و ﴿ من خفت موازينه ﴾ هو عدد سمات التي يتم فيها الوزن، كما توصل هذه الآيات أن ثقل وزن هو في الحسبات، وحقبة الوزن في السبلات، رغم أن ظاهر الأمر يفرض أن يكون عكس ذلك، كما يبدو من قوله تعالى ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ ٢، ﴿ يرفع الله الذين آمنوا ﴾ ٣، و ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ (٤).

ثقل وزن الأعمال الصالحة، وحقبة وزن السيئة، كما بيها سري عر وحس، يعود إلى هذه الحسبات ولأعمال الصالحة، وفيه لأعمال، سيئة ﴿ فأما الريد فيذهب حقاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾

(٣) المجادلة: ١١

(٤) التين: ٥.

(١) الأعراف: ٨، ٩.

(٢) فاطر: ١٠.

وفي به أخرى يقول الله تعالى ﴿نضع الموازين القسط يوم القيامة فلا نظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين﴾^(١) إذ وصف الموازين بالقسط، وبين الفرق في الوزن بين الحسبات والسيئات

ويروى عن أمير المؤمنين (ع) فيما يتعلق بـ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ قوله أن المقصود بذلك الحساب فالحسبات والسيئات بحرى وربها، فكون الأولى هي الثقل في الميزان أم الثانية «فوزها قليل» أما في «الاحتجاج» فورد عن أمير المؤمنين (ع) أن المقصود بذلك، هو زيادة الحسبات أو قلها

مما مضى يتضح معنى الآية التالية ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾^(٢)، أي أن الأعمال إذا حطت، فلا يصل مرور لإقامة ميزان العدل الإلهي، وهذا الأمر يوضح لنا حقيقة مهمة وهي أن ميزان العدل يوم القيامة، يختص بالأعمال التي لم تحبط فقط، ومن هنا فإن الآية الواردة أعلاه، لا تتنافى مع هذه الآية ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلصق وجوههم النار وهم فيها كالخون. ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون. قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾^(٣).

إن هذا البحث ياعدها على إدراك معنى الروايات الواردة في هذا الشأن.

فقد ورد في «الاحتجاج»، أنه عندما سُئل، الإمام الصادق (ع) من قبل البريدق المشهور: هل تورث الأعمال؟ أجابه الإمام بالنفي، وكرر ذلك أن الأعمال ليست أحسام مادية، كما أن الذي يحتاج إلى وزن الأشياء، إنما هو

(١) الأنعام ٤٧

(٢) الكهف ١٠٥.

(٣) المؤمنون

الذي لا يعرف عددها أو وزنها، أم الساري عر وجل، فلا تحفى عليه حافية
فسأله الربديق إدد ما معنى «اميران»^٢، أحده لإمام يعي لعدل، فسأله
الربديق مرة أخرى إدد فما معنى عبارة ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ الواردة في
الفرار^٣ أحده لإمام يعي دي يرحح عمله

وفي «التوحيد»، ورد عن أمير المؤمنين (ع) أن المقصود بتنصع الموازين
القسط، إنما هو ميزان العدل الذي به يحرى تقييم أعمال كل العباد، وبه يأخذ
لكل دي حق حقه، ويحارى الصالح والمعاص.

وفي «الكافي» ورد أن الإمام الصادق (ع) سئل عن ﴿وتنصع الموازين
القسط يوم القيامة﴾ فأجاب أن الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء. وفيما
تقدم من بحث، نجد لدين على كلام الإمام (ع)

ويروي صاحب الكافي عن الإمام السجاد (ع) أن ميزان العدل الإلهي لا
يقدم للمشركين ولا تفتح صحائف أعمالهم، بل يؤمنون في جهنم جميعاً، ويؤكد
لإمام أيضاً، أن ميزان العدل الإلهي لا يقام وصحائف الأعمال لا تفتح إلا
بمسلمين.

الفصل الثامن :

صحيفة الأعمال

يقول الله تعالى :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليّ حسيباً ﴾^(١)

بين الله تعالى في هاتين الآيتين، أن طائره الإنسان، هو عمله الذي قام به في حياته، وهو مثل وملامح للإنسان، ولذلك يقرّعه القرآن الكريم - وهي عقبه - فجميع أعمال الإنسان، سواء السيء منها أو الحسن، يجري تسجيلها، دون أن يشعر بذلك في الدنيا، ذلك أن حواس الإنسان تحس بما هو ظاهر ومكتشف من الأحداث وحركات والأعمال، أما باطن الأمور، فيدركها من خلال الآثار والعلامات الدالة عليها.

أم في الشئ الأخرى (الأخرة) فإن باطن الأمور وحماياها، تنكشف جميعها حيث ﴿ يرواها جميعاً ﴾ ومن هنا وصف القرآن، الطائر، بالكتاب الذي يمنحه الإنسان ويقرأ ما في داخله.

(١) نبي إسرائيل . ١٣ ، ١٤

يقول الله تعالى ﴿ أَحْصِهِ اللَّهُ وَنَسِوهُ ﴾^(١)

كما يقول ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلِ ﴾^(٢) وهذا سلاحظ
سحدام "أند" و"أحصيه" وهي تحصى أعمار الإنسان، لأن صحيفة الأعمال،
لا يعي أهل قومه مدرج فيها لأعمال، بل أن الأعمال تتحلى أمامهم بذاتها
وحقيقتها

وفي هذه الآية يقول الله سبحانه ويعني ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِيُرَوْ أَعْمَالُهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ ﴾^(٣)

كما يقول تعالى ﴿ وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾^(٤)، و"باب
حرى يؤدى نفس معنى مثل ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾^(٥)
و ﴿ يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾^(٦)

نقد "سلف الحديث عن حقيقة أن يوم السبت ولشور محيط بجميع مراتب
وجوده ودرجته وكما أن الأعمال تتحلى، فإن حقيقتها تتحلى أيضاً

يقول الله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم
نحروا ما كنتم تعملون ﴾^(٧) و"الكتاب" المذكور في هذه الآية، هو ذلك
المتنصر عما بهم كما يقول أيضاً ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَالَمُ الْإِنْسَانِ أَن كَسَا
سَتَسْمِعُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٨) وهذا كتاب هو "الكتاب المكتوب" الذي
سُجِّلَ فيه ما حدث وما يحدث وما سيحدث.

وقد ورد في الأحبار أن سحاً واحد من هذا الكتاب، ومنه أيضاً تؤخذ
الأعمال، وهو كتاب يضم حقيقة الأعمال، وهو المحجة والمرجع لقي الكتب

(١) المحاذلة: ٦ (٢) النحر: ٢٣

(٣) الأنعام: ٢٨ (٤) النعمة: ٣

(٥) الزلزلة: ٦، ٧، ٨ (٦) النجاة: ٢٨

(٧) الأحقاف: ١٩ (٨) النجاة: ٢٩

ولعمدته هو المذكور في لابه «شرعته» ﴿وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾^(١)

ورد في «الكافي» عن الإمام جعفر الصادق (ع)، صم أحد أحادشه حول سوح المحفوظ، أن اللوح هو لكتاب المكنون الذي يؤحد عنه باقي نسخ والاستساح ها، يعني بكل شيء من مصلوه لأصلي، وهذا معنى الكلام الإلهي ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٢) كما يقبل «العباشي» في تفسيره، عن الإمام الصادق (ع) أن كتاب الإنسان (صحيفة أعماله)، تعطى له يوم لقيامة فيقر له بقرآن وقد بسأل الراوي، الإمام (ع) وهل يتذكر الإنسان كل ما هو موجود في صحيفته، فيجب الإمام الله بذكره بها، فيتذكر كل رشة غير أو حصوة قدم، أو قول أو عمل، وكأنه قام بها في تلك اللحظة، ولهذا يقول الإنسان حسداك ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يعادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾^(٣).

وفي نفس التعبير رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع) أيضاً، تحمل مصموماً مقدراً لم جاء في «سرواية لأمة الذكر» والتحرير بالملاحظة هـ أن الإمام يفسر في هذه الرواية، مفردة «القرء» بمعنى «التذكر» الموصوع الآخر هو أن الله تعالى يقول ﴿نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾^(٤) وهذا يعني أن ما يحصى على الإنسان ويسجل في كتابه، هي أعماله وأفعاله التي يرتكبها، إضافة إلى آثار المترتبة على هذه الأعمال، وفي النتيجة، فإن محاسبة تكون على جميع ذلك، وعلى أساس هذا المفهوم يتوضح لنا معنى الآية ﴿يبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾^(٥)

(١) الزمر. ٦٩

(٢) الحاثية ٢٩.

(٣) القيامة ١٣

(٤) يس. ١٢

(٥) القيامة ١٣

ويورد «القمي» في تفسيره، رواية عن الإمام السافر (ع)، حول كلمتي «قدم» و«أخر» الواردين في الآية السابعة، أن المقصود بها هي ما فعل نفسه من خير وشر، وكذلك، ما ترتب على فعله فيما بعد، من آثار ييجابية أو سلبية، وأن الحساب يتم عليها جميعها، فإن كان قد سبى سبه حقة، فله أجرها وأجر من عمل بها، فيحصل هو على آخر، بمقدار ما يحصل عليه بسبب تلك السبة لحسنه.

بعد آية ﴿وكتب ما قدموا وآثارهم﴾^(١) يتبعها ناري عر وحل بقوله ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٢) وما يتضح أن لوح المحفوظ (الذي عثر عليه القراء هذا بالإمام المبين) هو أيضاً مرجع وحكم في محاسبته بعد، كما هي صحت أعمالهم كما يتضح أن المقصود به «كتاب» في آية ﴿هذا كتابا يطق عليكم بالحق﴾^(٣) هو نفسه لوح محفوظ، لأن كتاب وُصف به بالإمام، أي اتبعية، وفي الآية تالفة، وصفه لقرآن بهذه صفة، حيث أنه توحد لأعمال الإنسان، لها معنى واحد.

وفصلاً عن توضيح العديد من صفات هذا الكتاب، فإن القرآن وُضح به حقيقة مهمة وهي أن العدد يأخذون كتبهم بطريقتين، تعال لصف العدد، فقد جاء ﴿يومئذ نعرضون لا تخفى عليكم حافيتهم﴾ فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾^(٤)، إلى قوله ﴿وأما من أوتى كتابه شماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾^(٥).

والمقصود باليمين والشمال هو كما يبدو، طرف الإنسان من حيث يمينها وشمالها، على أساس حقيقة أن اليد اليمنى أقوى من اليسرى، أو طرف السجدة

(١) يس: ١٢

(٢) يس: ١٢.

(٣) الحافيت: ٢٩

(٤) الحافيت: ١٨، ١٩، ٢٠.

(٥) الحافيت: ٢٥، ٢٦

واشقاء و يؤكد أن المقصود ليس إسان (اليمن ويسر)، كما بدوره بعض
 بروة والمحدثي ندى بأحدون مظاهر الآلة، ذلك أن الله تعالى لم يقل «أوتى
 كنه يمينه أو شماله» بل قال يمينه وشماله والباء هنا سببة تفيد الوساطة،
 وعن لاية الشريفة الالية حير دليل على ما نقول ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه
 فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتى
 كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً^(١)﴾. إذ ورد فيها «وراء ظهره» بدن
 «شماله» وهذا دليل على أن المقصود هو يس اليد اليسرى، إذ لا يمكن أن
 يعني تعبير «وراء ظهره» ذلك

وسدبل لآخر، هو الاية الشريفة ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن
 أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون شيئاً ومن كان في هذه
 أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبلاً^(٢)﴾، إذ سلاحظ أن نقول لإلهي
 جاء «بإمامهم» وليس «لإمامهم» بينما تستخدم آيات أخرى «اللام» بدن «سأ»
 عدم لا يرد معنى للواسطة، فمثلاً ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها^(٣)﴾ ولم يقل
 لله تعالى «بكتبتها» وحلاصه الأمر أن الدعوة للإمام هي غير «دعوته إلى
 الكتاب»

وبعد أن يدعو الله تعالى، كل أناس بإمامهم، يأتي على تفصيل ذلك
 فيقول تعالى أن مجموعة من هؤلاء يؤتون كتابهم يمينهم، إذن، فهذا اليمين،
 هو دونه لإمام الحق الذي يدعي به هؤلاء ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾
 وسدل أن يقول لله بدن المجموعة الأخرى يؤتى كتابها شمالها، جاء القول
 لإلهي ﴿من كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل
 سبلاً^(٤)﴾ ومن تعبير السياق هذا، سذكر أن إعطاء الكتاب بواسطة يمين،
 يوم نبوة، يعني ذلك السور المصية، والله يقول ﴿يسمى نورهم بإيديهم

(١) الانشقاق ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١.

(٢) سبي إسرائيل: ٧١، ٧٢.

(٣) النجاة ٢٨.

(٤) سبي إسرائيل ٧٢.

وبإيمانهم ﴿١١﴾ و ﴿١٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴿١٣﴾ وه يتبين أن لنور، هو ذلك الإمام، ومقصود بمادة الناس به، هو التحاق كل مجموعة بإمامها ولحديث في هذا الموضوع يطول كثيراً، ولا مجال له في هذا بحث، لكن الخلاصة هي أن المقصود «اليمن» و«الشمال»، يمكن أن يكون بعدهما ولفظه، وليس ليد اليمنى واليسرى ولعل في سورة الواقعة ما يدل على ما يقول ﴿١٤﴾ وأصحاب اليمن ما أصحاب اليمن ﴿١٥﴾ و ﴿١٦﴾ أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴿١٧﴾، ومرة أخرى نحدث عنهم لقرآن لكرهم بعبارة أخرى ﴿١٨﴾ فأصحاب العيئة ما أصحاب العيئة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ﴿١٩﴾ ثم تأتي الآيات الشريفة تنوضح ذلك أكثر ﴿٢٠﴾ وأما إن كان من أصحاب اليمن، فسلام لك من أصحاب اليمن. وأما إن كان من المكديين الطالعين غرل من حميم وتصلية حميم ﴿٢١﴾، يد حاء «المكديين الصابين» بدل «أصحاب الشمال» ومن هذا يدرك أن أصحاب الشمال هم أهل الشفاء، ومكديون للحق، ويصلون ويسوون هذه الآية فيها إشارة، هي ﴿٢٢﴾ ومن حفت موارينه. ألم تكن آياتي تلي عليكم فكنتم بها تكذبون، قالوا ربما غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً صالين ﴿٢٣﴾ يد هي إشارة إلى الذين كذبوا وصنوا واحتدوا للقاء لأنفسهم لقد قننا فيما مضى أن هذه الآية تخص أهل الشفاء من أتباع الأديان الصابين أو لاكتين لعهد أئمة الحق أما الكفار المكربين لله تعالى والأديان، فلا تشتمهم هذه الآية لأن الله لا يصنع لهؤلاء ميراثاً أو قيمة، يدك، لا يوجد هؤلاء كتب، ولا حساب، بل يأخذون طريقهم إلى العذاب مباشرة وخلاصة، أن أصحاب الشمال هم أهل الشفاء والصيرون - ولهذا ربهم يقبضون - كما ينقل عنهم لدرى عز وجل - ﴿٢٤﴾ ما أعنى عني ماليه هلك عني

(٥) الواقعة: ٨، ٩.

(٦) الواقعة: ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤.

(٧) المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٦.

(١) الحديد: ١٢.

(٢) الحديد: ١٩.

(٣) الواقعة: ٢٧.

(٤) الواقعة: ٤١.

سلطانيته ﴿١﴾ إذ أن ذلك (العلم والمسلطان) حرمهم عن الحق، رغم اعترافهم
واقرارهم به.

بدر، فكل من لغيره يدعى بيمينه، فلتحق به، وبواسطه يؤي كتابه
والاسحق بالإمام هو ما ذكرته بروايات بـ «العاده» و«الشفاء» اندلس، والذي
سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

بـ أهل الشفاء، يقولون كتبهم شملهم، ومن حلف صهورهم، لأن
أثمتهم أمهم، يكن وحوهم منته إلى وراء، والله تعالى يقول حو فرعون
﴿٢﴾ يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ﴿٣﴾ كم يقول ﴿٤﴾ يا أيها الذين
أوتوا الكتاب امسوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وحوها
ونزدها على أديارها ﴿٥﴾ وكذلك يقول ﴿٦﴾ قبل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نوراً ﴿٧﴾ وقد ذكر في مصى أن نور هو لإمام الحق

بـ لإمام، بوحوده المدي ليدوي، وشكته سدي حبه لله تعالى،
يكون وحوه بـ الإمام، وله ظهر وظرف أيسر وأيسر وعدم يحذر الإنسان
طربو شفاء وبصلا، ويتبع هوه ويعتبه، فهو في الواقع، يشيع بوحوه عن
حق، وعدم يقف بين سدي به، يوم القيامة يبدأ بحسب، يحشر هذا
لإمام، وحوه إلى وراء، وكذا عمى، فلا يرى شيئاً، وهو مدهولاً لا يدري
إلى أين يسير، وماذا يفعل، وماذا سيواجه.

بـ لإمام الحق، ودين يدعو بواسطه، يملك إشراقاً وهيمة قهرة على
الإمام ساطع ومجموعه، والله تعالى يقول ﴿٨﴾ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب
ما قدموا وأثأرهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴿٩﴾ حيث نصق الآية
اسم «الإمام» على لكتب سدي يصم كل الأمور، بما في ذلك الشفاء

(١) هود ٩٨

(٢) ساء ٤٧

(٣) الحديد ١٣

(٤) س ١٢

والسعادة، والسيء والصالح، والله جل وعلا يقول أيضاً: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾^(١)، وعلى أساس هذه الآية، فإن «الإمام» الذي هو «الكتاب»، يتولى القضاء بحق كلا الفريقين، الأشقياء والسعداء، وهو الشاهد عليهم جميعاً. وهذا لا يتنافى مع ما قلناه سابقاً حول الفرق بين «الدعوة إلى الكتاب» و«الدعوة بالإمام». ذلك أن الله تعالى لم يصف صحائف الأعمال بـ «الإمامة». بل وصفها بالاقتران والتساعية، فقال ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائفة ﴾^(٢) بينما وصف «اللوح المحفوظ» فقط بالإمامة، باعتبار أن الأعمال تؤخذ منه. إذ أن صحيفة الأعمال، تؤخذ من هذا بلوح.

ويجب التذكير هنا أن الله تعالى، فسرَّ الإمامة، بـ «الولاية» في العديد من آيات، لكن استخدم «الولاية» فقط، عندما تحدث عن ذاته جل شأنه، لأن الإمامة تنصص وحدة النوع بين الإمام والمأموم. وحلاصة الأمر أن الإمام الحق، هو ولي المؤمنين، والإمام الطاطل، ولي الكافرين.

وبدرك هذه الحقائق، سنحل عقدة الكثير من معاني الأحاديث التي تقول أن أصحاب الولاية، يتولون القضاء بين الناس يوم القيامة.

يقول الله تبارك وتعالى. ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشمة ما أصحاب المشمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾^(٣) و«السابقون المقربون» هم أولئك العبد «مخلصون» الذين تحدثنا عنهم ضمن موضوع المخ في الصور، و«الإحضر» و«لمبر» فأمثال هؤلاء، يستثون من إعطائهم كتابهم، كما يستثنون من الفرع وغيره.

وعلى هذا، فإن حكم «إعطاء الكتاب وصحيفة الأعمال» يحري على قدر سرتكون سيئات، أو حسنات، ويشتى منه فرقان، الأول السعد

(١) الحاقه ٢٩

(٢) من إسرائيل ١٣

(٣) من إسرائيل ١٣

نمحصون والثاني المعبدون والمكروون الذين سلف الحدث عنهم

يقول الله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائفة في عتقه ﴾^١ وهذا يشمل
بعض عمى حبات وسيف وأف : «محصون» الذين يعو في حياتهم
مرب عبد، وكذلك مدير حفظ أعمالهم، كمكدي الأساء ومكري يوم
لعدمه فهم لا يعرضون للحساب ولا يعطون كتبهم يوم قيامه

وستمرر نفس لآيه «سنة شر» ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً
مشهوراً ﴾^٢ ونحمل - يكون هذا الكتاب هو غير «الطائفة» التي يعق في
عنى الإنسان (مفرد به) ويؤكد هذا الكتاب هو نفسه «طائفة» لحداث
لآيه ﴿ ونحرقه كتاباً ﴾^٣ يوم لنس جاء ﴿ ونخرج له كتاباً ﴾^٤ وسبق لآيه
هذا بقوله «سنة شر» ﴿ وإد الصحف نشرت ﴾^٥ وبعده لآيه
﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾^٦ فمن هذه الآية، نتصح
« ن » «كتاب» و«طريقة قرءة» يحتفظ بها هو معروف في حياة نبي

يقول الله تعالى ﴿ يتو الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾^٧ وهذه
لآية تحدث عن تفاصيل «الإنسان» في حياته، وسي تذكرها
يوم قيامه « لآية ﴾ بل الإنسان على نفسه بضيرة ﴿^٨ وتحدث عن وضع
الإنسان بشكل حملي وعدمه. ونس - تفصل عرفها الإنسان نفسه وقد
تحدثنا فيما مضى عن كيفية قراءة الإنسان كتابه - والله أعلم

(١) بي إسرائيل: ١٣.

(٢) بي إسرائيل: ١٣.

(٣) البكور: ١٠.

(٤) بي إسرائيل: ١٤.

(٥) الناقة: ١٣.

(٦) لقمة: ١٤.

الفصل التاسع :

الشهداء في يوم البعث

يقول اسري عروحل عن الشهداء ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووصع الكتاب وحيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾^(١) وفي آيات أخرى عديدة، أطلق القرآن الكريم صفة الشهداء (سعى شهادين) على عدة مجموعات، باعتبارهم يشهدون على الأعمال في يوم القيامة.

ب. الشهادة على شيء، هي إدراكه عن طريق الحضور والرؤية، وهذه هي مرحلة ستلام الشهادة ولحصول عليها، أما المرحلة الثانية، فهي تأييد وقوع ذلك الشيء وتسمى مرحلة أداء الشهادة. وواضح أن الشهادة على الأعمال، في يوم القيامة لا يقتصر على طواهر الأمور والحوادث والأعمال، بل هي شهادة على نواصيها وحقيقتها، من حيث الطاعة والمعصية، أو السعادة والشقاء، ذلك أن بحكم يستند إلى تأييد أشهاد، وسعي بقضي هو وأحكام الحاكمين من هذه الشهادة تأتي على حقائق الأمور ونواصيها.

إن لإدراك الكامل لحقائق الأمور، لا سعة، لا سدين يضعون على حدود الأمور ومشأها، وكذلك تصعب على سبب حقيقتها والدوافع ومن

هـ، من الشهادة في يوم القيامة تمثل تكريماً وتجيلاً لمعام الشاهد ﴿ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ . كما أنها محصورة بأولئك الذين حطوا في لديها سريرة تؤملهم للاطلاع على الحفايا والنوايا. يقول الباربي حل وعلا ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ ^(١) والصواب، هو عكس «خطأ» كما يقول تعالى ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ ^(٢) إذن فالشهادة في ذلك اليوم لا تقوم إلا للذين نزهت أعمالهم من كل خطأ وزلل.

من جانب آخر، فإننا لو أمعنا النظر في قدرة حواس الإنسان وقوة الظاهرية، لرأيما عاحرة عن إدراك بواطن الأمور والأعمال، حتى لو تعامت معها بشكن مبائر، فضلاً عن الغائبين والعبيدين عن دائرة إدراكهم لأن الاطلاع على حفايا الغير، وهم في غياب عن الشاهد، أمر مستحيل إذا افترضنا أن «اطلاعه» يتم بالحواس الظاهرية المعروفة. لكن هذا الأمر سيكون قديلاً بالرفع، إن إدراك الشاهد لبواطن الأمور والأعمال، يتم بقوة، هي م وراء قدرة الحواس الظاهرية، قوة يمكنها الاطلاع على النوايا والحفايا، للذئب والحاضر على حد سواء. هذه القوة هي في الواقع نور غير مادي، لا يحتاج إلى م يحتاحه النور العادي، من مستلزمات الحال والزمان والمكان، بل هو نور يمكن بواسطته رؤية باطن الإنسان ونواياه، وتمييز «الطيب» من «الخبيث»، و«الظاهر» من «غير الظاهر»

يقول الله تعالى ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدريك ما عليون. كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴾ ^(٣) وكذلك ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يسومئذ للمكذبين ﴾ ^(٤) وقد أشيرنا في الفصل السابق إلى أن أصحاب «يمين

(١) الباء ٣٨

(٢) الرحمن ٧٦

(٣) المطففين ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١

(٤) المطففين ٧، ٨، ٩، ١٠

وأصحاب الشمام، يؤثرون كتابهم كل بواسطة إمامه بقول الله تعالى ﴿وقل
اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ويستردون إلى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾^(١) وهذه الآية، لا تحصر في خطاب
فريق المصدقين، بل يحاط بالساس جميعاً ومن هنا فإن أعمال المؤمنين أيضاً
ستحصى لـ «الرؤية» من قبل الله تعالى ورسوله والمؤمنين كما أن «المؤمنين»
الذين وصفتهم الآية، هي جانب الله تعالى ورسوله (ص) كطريق للأعمال، هم
بالتأكيد فريق خاص من المؤمنين، يتبعون عن غيرهم كما فهم من هذه
آية، أن «رؤية» أعمال الساس من قبل النبي (ص) والمؤمنين، سوف تتم على
أسس ما يسمى الله تعالى الساس، كما كانوا يعملون

يقول علي بن إبراهيم رضي في تفسيره رواية عن الإمام الصادق عليه
السلام، مفاده أن حسنة العباد وسيئاتهم تعرض على رسول الله (ص) قبل
صباح، ولهذا يحذر الإمام (ع) العباد من ارتكاب المعاصي ويدعوهم إلى
الحسن من أن تعرض معصيتهم على النبي (ص) ثم «العباشي» فيقول رواية
عن الصادق (ع) حور أبيه ﴿وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله
والمؤمنون﴾^(٢) يقول فيها أن المعصودات والمؤمنين، هم لائحة وهذه
روايات عديدة أخرى وردت في كتب تفسير والحديث حول هذا الموضوع

وإحلاصة الأمر، أن مرحلتي تنقي وحصور على الشهادة وأداءها،
والحرء على أساسها، كل ذلك سم سداد على الأعمال ذاتها، وهذه الأعمال
هي التي سطق وتحدث عن نصها يقول تبارك وتعالى ﴿وحية بالبين
والشهادة وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت
وهو أعلم بما يفعلون﴾^(٣)

(١) التوبة: ١٠٥

(٢) سورة: ١٠٥

(٣) الزمر: ٦٩، ٧٠

أشهداء، مجموعات مختلفة، ومراتب عدة، والمرتبة لأولى بغيرها
الأولياء والمؤمنين، مثل الأولياء والصالحين، والله تعالى يقول ﴿وحيى
النبيين والشهداء﴾ ونعم فصل بين أسس وشهداء، هو تكريم مقام
الأولياء كما بقوله جل وعلا ﴿يوم تبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن
لغيرهم كفروا ولا هم يستعبون﴾^(١) فالأمة هي مجموعة من أسس،
وعندما يقرن الحديث عن أمة، سبي أو زمان أو مكان، فإنها تتميز عن الأمم
الأخرى وبما ر دلالة في لانه ساسه أنه يقول شيء، جزء فيها تعني هذا،
جميع الأمم، ويشمل في حصيلها، أي وشهيد كل أمة من الأمم رغم أنه قد
يوجد داخل أمة كبر سبي عدد من الأولياء، والله تعالى يقول ﴿وكذلك
جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيداً﴾^(٢).

وعنى ساس ما فيه سابقاً حول معنى شهيد، يتضح بأن هذا المقام
(الشهادة) لا يصلح لكل فرد أمة محمد (ص)، بل بل المقصود بذلك، بعض
فرد الأمة، رغم أن صهر، لانه، يحاط كل فرداً. ونحن لسنا هؤلاء
المجموعة الخاصة تنتمي من هذه الأمة.

هذا الأسلوب في الحديث، أمر صيحي ومندوب، والله تعالى يقول في آية
آخرى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشهداء على الكفار، رحماء
بينهم﴾^(٣) لا أن وصف «الأشهداء» لا يشمل كل من هو مع سي (ص)، رغم
أن صهر لانه هكذا إدم من المؤكد أن المقصود بذلك، بعض أتباع سي،
خاصة وأن هناك جماع بأن بعض الذين كانوا مع سي، هم من أهدافهم

(١) لحن ٨٤

(٢) سورة ١٤٣

(٣) لحن ٢٩

والفاسقين، ولا يمكن لصحة «الأشهاد» أن ينطبق عليهم. وهناك حالات مشابهة عديدة، يوجه فيها الحطاب إلى العموم بما المقصود، هو مجموعة خاصة منهم.

على هذا، فإن شهداء الأمة، مجموعة خاصة، شهد على الناس، أم رسول الله (ص)، فهو بدوره شاهد على أفرادها أي أن هذه المجموعة، تمثل حبه وسخطه بين الأمة وسببها، كما ورد في الآية السالفة لذكر وفي آية أخرى يقول عز وجل ﴿هو آتيتكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملأ أيتكم إبراهيم هو سمىكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ (١) فهذه الآية أكثر صراحة في توضيح أن شهداء الأمة، هم مجموعة خاصة وفي عبارة «هو سمىكم المسلمين» إشارة إلى دعاء إبراهيم (٢) وإلى إسماعيل (٣) عند ساء الكعبة ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن دبرتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويركبهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ وما أن دعاء إبراهيم، هو بحق إسماعيل وأسنه، وعموماً أهل مكة، فيما يشمل نسيبه، قريش، لكر سبب ومصوب الدعاء يدعى أن المقصود بين قريش كلها من مجموعة خاصة، هي تلك التي تمتع بالظاهرة والهداية والودع بالهدى لإلهي، وداعي اليهود، والإيمان بالنبي (ص).

وما ورد في الآية «شريعة لائمه» ذكر، هو ذلك التفسير الورد في الأحبار جمولة عن أهل بيت (٢) ففي «الكافي» وتفسير العياشي ورد عن الإمام الصادق (ع) أن أهل بيت هم «أمة وسط» وهم شهداء الله على عباده وجميعه في الأرض والسماء وفي «شاهد» تبيين ورد عن أمير المؤمنين (ع) أن المقصود ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ هم «أهل بيت»، أي أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله (ص) شاهد عليهم، وهم بدورهم شهداء

الله على عدد وحجته في الأرض وأنهم الذين قاتل عنهم الله تعالى ﴿ وكذلك جعلناهم أمة وسطاً ﴾ (١)

ويروى عن الإمام الباقر قوله أن الشهداء على الناس، لا يمكن إلا أن يكونوا لأئمة والأياء (ص)، أما أفراد الأمة الآخرين فلا يمكن أن يكونوا شهداء، من قبل الله تعالى، لأن بين أفراد الأمة من لا تقبل شهادتهم في الدنيا، وفي أسطر الأشياء، وفي نصير العياشي، ورد عن الإمام الصادق (ع) أن المقصود بآية ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ بين كل أهل لفظة (مؤمنين)، لأن هناك من هؤلاء، من لا تقبل شهادته حتى على «صالح من صر» ويسمى كيف يمكن أن تقبل شهادة مثل هؤلاء، على أعمالهم، يوم القيمة، ويستطرد الإمام (ع) أن المقصود بهذه الآية، هم الأئمة الذين استجيب بحجهم دعاء إبراهيم (ح)، وهم الأمة الوسط و﴿ حير أمة أحرحت للناس ﴾ وهناك أحاديث عديدة بهذا الشأن

وهكذا يتوضح معنى الآية الكريمة ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة شهيداً وحتنا بك على هؤلاء شهداء ﴾ (٢)، وحيث أن رسول الله (ص) لا يكون شاهداً على أفراد أمة مباشرة، بل يشهد على شهداء الأمة، فإن المقصود بـ ﴿ وحتنا بك على هؤلاء شهداء ﴾ (٣) هم شهداء الأمم، وليس أفراد لأمة نفسها، وهؤلاء شهداء هم الذين يشهد عليهم رسول الله (ص).

وهذه آية أخرى، أكثر صراحة في توضيح هذه الحقيقة ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وحتنا بك شهداء على هؤلاء ﴾ (٤) ونأتي صراحة في أنها عثرت عن استخدام شهداء الأمم للشهادة يوم القيامة بكلمة «شهداء»، أما عند الحديث عن رسول الله (ص) فالقراء يستخدم كلمة «وحتنا

(١) البقرة: ١٤٣

(٢) النساء: ٤١

(٣) النساء: ٤١

(٤) النحل: ٨٩

بك». كما يستخدم القرآن الكريم عبارة «من أنصفهم» عند الحديث عن شهداء الأمم وهذه الآيات تدل كيد على أن رسول الله (ص) شاهد على الشهداء، وليس على كل أفراد الأمة كما أنه شاهد على شهداء الأمم لأخرى أيضاً

يقول حمى حور عاره «شهيداً على هؤلاء»، أن انفصود بـ «هؤلاء» - هم لأئمة - ورسول الله شهيد على لأئمة، وهؤلاء مدورهم شهداء على أفراد الأمة.

ويورد صاحب «الاحتجاج» حديثاً عن لإمام عبي (ع) حول أحوال أهل محشر يقول بـ الأئمة يُعْتَوْنَ في ذلك ليوم وتُسألون عن أداء لرسالة بني حُمَيو بها، فيجيبون بأنهم سَمِعُوا الرسالة الإلهية لأئمتهم - وأدوا مسؤوليتهم ثم يأتي دور الأمم، فتُسأل عن رسالات الأئمة، فتذكر بإبلاغ الرسالة، كما ورد في لآله لكرمه ﴿فلنستل الذين أرسل إليهم ولنستل المرسلين﴾، فتقول الأمم ﴿ما جاءنا بشير ولا نذير﴾، وهب يصبب لأئمة، رسول الله محمد (ص) لشهده، فيشهد على صدق حوارهم، وكذب ادعاء بمكربين من الأمم، فيقول لكل أمة معه، فقد جاءكم شير وندير وبعكم رساله الله والله على كل شيء قدير أي بـ الله قادر على أن يجعل حواركم تطلق فتشهد على أن الأئمة بمعكم رسالات الله وهكذا فإن رسول الله (ص) يكون شاهداً على لأئمة، والله تعالى يحاط به بعبود ﴿فكيف إذا حثنا من كل أمة بشهيد وحثنا بك على هؤلاء شهيداً﴾^(١)

يقول العسري في تفسيره، حديث عن أمير المؤمنين (ع) نصف فيه يوم القيمة، يقول بـ جميع حالاتهم يجمعون في مكان واحد، لبحري سؤالهم عن أعمدهم، وأن يستطيع أحد الكلام بلا من يدب له الله تعالى ليقول صواباً، ثم بحث الله لأئمة مسائلهم أخصاً، وهذا هو معنى لآله ﴿فكيف إذا حثنا من كل أمة بشهيد وحثنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ بـ رسول الله (ص) هو الشاهد

عنى شهداء، وهؤلاء هم الأساء. وقد أسلفنا لحدث، عن بكر الأمم،
لرسالات الأنبياء.

وهناك مجموعة أخرى من الشهداء، هي الملائكة ﴿الذين يسجلون
لأعمال﴾، والله تعالى يقول ﴿وما تكون في شأن وما تتنوا منه من قرآن
ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ وكذلك
يقول ﴿ولقد حققنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه
من حسن الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما
يخطئ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد﴾^(٢).

كما يقول أيضاً ﴿وبد عليكم لحافظين كرم ما كاتبين يعلمون ما
تعملون﴾^(٣) وبيت أخرى تشير إلى شهادة الملائكة، وأعصاب لسان
وجوارحه

يقول الله تعالى في هذا الموضوع ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾^(٤) وأيضاً ﴿ويوم يحشر أعداء
الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤوها شهد عبيدهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون. وذلك ظنكم الذي ظننتم
بربكم أردبكم فأصبحتم من المحسرين﴾^(٥) ويبقى هذه الآيات، يدور على

(١) يونس: ٦١

(٢) ق: ١٦-٢١

(٣) الأنعام: ١٠-١٢

(٤) يس: ٦٥

(٥) فصلت: ١٩-٢٣.

أهل حصن أهل النار ولهذا فإن شهادة لأعضاء والحوارج بما حصن أهل النار فقط دون أهل الجنة.

ب موضوع شهادة أعضاء أهل النار وحوارجهم على دسوسهم يمكن أن يكون دليلاً وشهداً حرر على أن كافرين، هم أيضاً مكلفون بعروج الدين وأحكامه، كما أن حدود أهل النار هي التي تشهد عليهم، ولهذا فيهم سألوها عن ما شهدتهن ذلك من الحدود قرب من علمه بصادقه، أم لأسماع ولا بصيرة، فهي تعد عن علمه لصدته، وأقرب إلى فهمه ولا بد من

ب نة ﴿ قالوا أطقوا الله الذي أسطق كل شيء ﴾ بما هي حواء حوارج ولا أعضاء لأصحابه، ولم تستخذم الآية كلمة وشهادة، بل كلمة «الطوا»، وهذا ثم ما مر من أنه وبعد من يوه حوارج ومعانيتها على شهدتهن، كوجود مستقر، حر صرف. أمر لا معنى له لأن طفق كل صق، وحديث كل محدث، ما هو من الله تعالى، وليس هناك في موحود، يسع بالاستعلاءية عن قدره لله وبره، وبعد، فإن سياق الآية بسم ﴿ وهو الذي خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ في به به وحواء كل لأشياء، وبره لله وأمره به كل بصوهر، وهو يعلم بكل شيء، ولا يعيب عنه شيء، وسبب ذلك، في مرة، به بوسيلة ما، وكذلك كتفه لإصلاح عبده. فإن به في الآية يأتي ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ﴾ في كنتم به يستطيعون حواء دسوسكم التي ركنموها بحوارحكم، لأنكم به تحسبون حوارج حواء، ولم يحدروا شهدتهن، بل لأنكم عتقدتم أن لأشياء، مستفهم عن الله تعالى، وإن به غير مصدق عليه بما حقيقته هي أن أعضاء لإسكان وحوارجهم، هي كمين يبي، ودد منرفه بعد وأن عتقدكم حواصي حواء بصبرون، إن به عاقل عن كثير مما يعملون هذا بخصاً، هو بعبدة عبده عن حقيقته إن به علمه بكل شيء، وشهد على كل ما يفعل لإسكان ﴿ وذلكم طمكم الذي طمتم بربكم أدبكم فاضحتهم من الحاسرين ﴾

وهنا يجب الانتباه إلى أمرين هامين، الأول: أن المبدأ العام القائل أن العلم والقدرة وكل كمالات الوسائط هي نفسها علم الله تعالى وقدرته وكمالاته، له في القرآن، القرآن له فروع عديدة، وقد وردت له إشارات عدة في القرآن، فمثلاً يقول الباري عز وجل حول العلم: ﴿ لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾^(١). كما يقول تعالى: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾^(٢). وكذلك يقول: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾^(٣) وآيات أخرى عديدة في هذا المعنى.

مما سلف، يتبين أن علم الباري تعالى وإطلاعه على كل الأمور، يتحقق بتسجيلها في اللوح المحفوظ، ثم يواجه بها العباد كوقائع (وهذه إشارة إلى مبدأ أن سائر كمالات الوسائط، هي فرع من كمالات الحق تعالى). وعلى أساس ما قلنا، يتوضح معنى الآية ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾^(٤).

أما الأمر الثاني: فهو أن الآيات السالفة الذكر، تفيد بأن الحياة، حقيقة جارية في تمام الموجودات، لأنه بغير ذلك، لا يمكن إطلاق اسم «الشهادة» على إنطاق الأعضاء والجوارح. لأن الحديث عن شيء يعتبر شهادة فيما لو صدر عن المتحدث بشكل حقيقي، وهذا لا يتم إلا بتمتع المتحدث بالحياة. ومن جانب آخر، فإن الأحياء الذين يدلون يوم القيامة بالشهادة على حوادث وأعمال وقعت في الحياة الدنيا، لا يمكن أن يدلوا بالشهادة، إلا أن يكونوا يتمتعون بالحياة أيضاً عند وقوع تلك الأعمال، بحيث يتمكنون من إدراكها، إذن فكل ما يشهد يوم القيامة، لا بد وأن يكون حياً في الدنيا. ويستوي في ذلك السمع،

(١) سبأ: ٣.

(٢) الزخرف: ٨٠.

(٣) ق: ١٦، ١٧.

(٤) الجمعة: ٨.

والبصر، والزمان، والمكان. وهكذا يمكن، مما تقدم، أن ندرك معنى الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (١) وكذلك الآية التي تصف آلهة الكفار: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢).

وهناك الكثير من الأحاديث والأخبار والروايات حول المفاهيم الأنفة الذكر، ففي «الكافي» ورد عن الإمام الباقر (ع) أن الأعضاء والجوارح، تشهد على مستحقي العذاب الإلهي فقط (ولا تشهد على المؤمنين)، أما المؤمن فإنه يتلقى كتابه يمينته. وهذه إشارة من الإمام (ع) إلى الآية الواردة بعد آيات الشهادة:

﴿وَقِضْنَا قُرْبَاءَ فَزِينُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَسْمِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٣).

وفي تفسير «القمي» و«من لا يحضره الفقيه» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حول تفسير آية ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ (٤) قوله أن المقصود بـ «جلود»، هي الفروج والأفخاذ. وفي تفسير القمي ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه عندما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة، يعطي كل إنسان صحيفة أعماله، فيظلمون عليها، ويتكبرون ما فيها من أعمال ارتكبوها. بعد ذلك تشهد عليهم الملائكة، فيقسم العاصون بأنهم لم يرتكبوا أيّاً من هذه الأعمال: ﴿يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (٥)، وعندها يختم الله على أفواههم فتشهد أعضاؤهم وجوارحهم على ما ارتكبوها.

(١) الأحقاف: ٦، ٥.

(٢) النحل: ٢١.

(٣) فصلت: ٢٥.

(٤) فصلت: ٢٠.

(٥) المجادلة: ١٨.

ومن الشهداء أيضاً، الزمان والمكان، وهما الأيام المقدسة والأشهر الشريفة، والأعياد وأيام الجمعة والمناطق المقدسة والمساجد وغيرها. يقول الله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ (١).

إن المباحث السابقة تبين لنا كيفية شهادة الأيام، وكذلك توضح معنى الآية الكريمة السالفة الذكر. كما يتبين لنا أن كلمة «من» في عبارة «ويتخذ منكم شهداء» هي «من» ابتدائية وليست تبعيضية، و«الشهداء» في هذه الآية، هي الأيام.

وعن شهادة الأماكن والأزمنة أيضاً يقول الله تعالى: ﴿ثم إلي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ (٢)، وقد أسلفنا الحديث عن المعاني التي تتضمنها هذه الآية، وكيف تشهد الصخور والسموات والأرض.

كما يقول تبارك وتعالى: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ (٣).

وفي «الكافي» ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه عندما يحل النهار، فإنه - أي النهار - يقول للإنسان: يا ابن آدم - أعمل خيراً لأشهد لك أمام الله يوم القيامة، فأنا لم أتك من قبل، ولن أتيك بعد اليوم. وعندما يحل الليل، فات - أي الليل - يخاطب الإنسان بنفس الخطاب. وقد نقل مضمون هذا الحديث ابن طاووس في كتابه «محاسبة النفس» عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) لقمان: ١٥، ١٦.

(٣) الزلزلة: ٢ - ٥.

وفي «علل الشرائع» يتقل الشيخ الصدوق قولاً عن الإمام الصادق (ع) رداً على سؤال حول إقامة النوافل في مكان واحد، أم توزيعها على أماكن عدة. فيجيب الإمام بأن الأفضل توزيعها على عدة أماكن لأن هذه الأماكن ستشهد له عند الله يوم القيامة.

ومن الشهداء أيضاً، القرآن الكريم، وكذلك الأعمال والعبادات الشخصية.

إن كل ما قلناه عن شهادة الشهداء (الشهود) يمكن إثباته بالبرهان، ذلك أن كل علاقة تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل. لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، سندوم العلاقة المتولدة بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين.

من جانب آخر، فإنه بالحياة ستحيى جميع الذوات (الأعمال والعلاقات والأشياء). وبحضورها أمام الله تعالى، بشكل كامل ويتمم الذوات، ستشهد بكل ما لديها.